الخطاب القرآني الأخلاقي

في سورة النحل دراسة تحليلية

في ضوء علم اللغة الاجتماعي

[الآيات من ٩٠ إلى ٩٢]

إعداد الدكتورة

إيمان محمد خضري نوبي

مدرس أصول اللغة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

القليوبية- جامعة الأزهر

الخطاب القرآني الأخلاقي في سورة النحل دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي [الآيات من ٩٠ إلى ٩٢]

إيمان محمد خضري نوبي.

قسم أصول اللغة – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر، القليوبية، مصر.

البريد الإلكتروني:emankhodary@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى دراسة وتحليل لغة الخطاب القرآني الأخلاقي لآيات مختارة من سورة النحل في ضوء معطيات علم اللغة الاجتماعي، وقد اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التفسيري في الدراسة، وجاء البحث في مبحثين، تناول الأول الخطاب الأخلاقي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الآية: ٩٠]، وحوى الثاني الخطاب الأخلاقي في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ [الآيتين: ٩١، ٩٢]. وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج كان أهمُّها أنَّ القرآن الكريم مصدر أصيل لكل المفاهيم التربوية الدينية والأخلاقية والاجتماعية، والتي تصلح لكل الأفراد في كل زمان ومكان، والتي تُحقِّق مقاصد الشريعة من بناء مجتمع مسلم حضاري قوي بأفراده يقود العالم إلى التطور والرقي.

الكلمات المفتاحية: الخطاب القرآني– الأخلاق– علم اللغة الاجتماعي– سورة النحل.

The Moral Qur'anic Discourse in Surat An-Nahl: An Analytical Study in the Light of Sociolinguistics (verses 90 to 92)

Eman Muhammad Khudary Noubi.

Department of Linguistics, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Al-Azhar University, Qalyubia, Egypt

Email: emankhodary@azhar.edu.eg

Abstract:

This research aims to study and analyze the language of the Qur'anic moral discourse of selected verses from Surat An-Nahl in light of the constants of sociolinguistics. The researcher has adopted the descriptive analytical approach. The research consists of two sections, the first deals with the moral discourse in the Almighty's saying: "God commands justice, kindness, and giving to relatives" (Qur'an, 16: 90), and the second contains the moral discourse in the Almighty's saying: "And fulfill your covenant with God when you make a covenant, and do not break oaths after confirming them" (16: 91). The research has reached a number of results, the most important of which is that the Holy Qur'an is an authentic source of all religious, moral and social educational concepts, which are suitable for all individuals in every time and place. Such concepts can achieve the purposes of Sharia in building a strong, civilized Muslim society with members who can lead the world to development and progress.

Keywords: Quranic discourse - ethics - sociolinguistics – Surah - An-Nahl

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(١)، والصلاة والسلام على من أَدَّبَه ربُّه فأحسن تأديبه، القائل – صلوات ربي وسلامه عليه–: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"(٢)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد

فمِمَّا لاشك فيه أنَّ اللغةَ مرتبطةٌ بالمجتمع ارتباطًا وثيقًا لا ينفك، فهي المرآة التي تعكس "ما يسير عليه الناطقون بها في شؤونهم الاجتماعية العامة؛ فعقائد الأمَّة، وتقاليدها، وما تخضع له من مبادئ في نواحي السياسة والتشريع والقضاء والأخلاق والتربية وحياة الأسرة، ... كل ذلك وما إليه يصبغ اللغة بصبغة خاصَّة في جميع مظاهرها: في الأصوات والمفردات والدَّلالة والقواعد والأساليب"(٣).

ومن هنا ظهر علم اللغة الاجتماعيِّ كأحد أفرع علم اللغة التطبيقي(٤)، حيث "يهدف إلى دراسة عَلاقة اللغة بالمجتمع، واعتبارها عَلاقة تأثير وتأثر، بمعنى

---

(١) سورة النحل: آية رقم (٨٩).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (٨٩٥٢) (٥١٣/١٤)، تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

(٣) اللغة والمجتمع: د.علي عبدالواحد وافي، (صـ١١)، دار إحياء الكتب العربية، ط: ٢، ١٣٧٠هـ –١٩٥١م.

(٤) هو العلم الذي يعالج الجانب العلمي للغة، ويضم الكثير من المجالات، منها: علم اللغة النفسي، علم اللغة الإحصائي، وعلم اللغة الاجتماعي .. وغيرهم. ينظر: محاضرات في علم اللغة الحديث: د. أحمد مختار عمر، (ص ٥٥)، عالم الكتب، ط: ١، ١٩٩٥م.

آخر: هو البحث في كيفية تأثير اللغة في المجتمع، وكيف يؤثر هو فيها، وعلى هذا الأساس يُعرَّف علم اللغة الاجتماعي على أنَّه: دراسةٌ للغة في عَلاقتها بالمجتمع"(١).

وما من لغة تخاطب المجتمع الإنساني بأفضل من لغة القرآن الكريم، ذلك الكتاب الذي جاء "لينشىء أمَّة وينظم مجتمعًا، ثمَّ لينشىء عالَماً ويقيم نظاماً. جاء دعوة عالَمِيَّة إنسانية لا تعصُّب فيها لقبيلة أو أُمَّة أو جنس، إنَّما العقيدة وحدُها هي الآصِرة والرابطة والقومية والعصبية. ومن ثَمَّ جاء بالمبادئ التي تكفل تماسُك الجماعة والجماعات، واطمئنان الأفراد والأمم والشعوبِ، والثقة بالمعاملات والوعودِ والعهودِ"(٢)، ومن هنا جاء هذا البحث الموسوم بـــ" الخطاب القرآني الأخلاقي في سورة النحل دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي [الآيات من ٩٠ إلى ٩٢]".

ودفعني إلى اختيار هذا الموضوع أمور، منها:

١) الرغبة في خدمة كتاب الله – جلَّ وعَلا –، فهو حبل الله المتين، لا تنقضي عجائبُه، ولا تنقطع أسراره؛ فأردت أن أنال شرف مدارسته من خلال دراسة لغته من جميع جوانبها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، والوقوف على الإعجاز اللغوي لألفاظه من خلال إيجاد مناسبة صوتية بين الألفاظ ومدلول الأَحداث المُعبَّر عنها؛ لبيان المعنى في أوضح صورة.

٢) حداثة هذا الموضوعِ، فلا يوجد بحثٌ يتناول دراسة لغة الآيات الثلاث من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ إلى قوله:

---

(١) علم اللغة الاجتماعي: د. هدسون، (ص ١٢)، ترجمة: د. محمد عياد، مراجعة: د. نصر حامد، د.مجمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب، ط: ٢، ١٩٩٠م.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، (٢١٩٠/٤)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط: ١٧، ١٤١٢هـ.

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ﴾(الآيات من: ٩٠-٩٢ من سورة النحل) دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي.

٣) الربط بين الجانب اللغوي والجانب الاجتماعي؛ وذلك من خلال دراسة الخطاب القرآني الأخلاقي، الذي يهدف إلى ترسيخ العديد من القيم الأخلاقية، التي بحسن توظيفها يكتسب الفرد الكثير من الصفات والقيم والأخلاق والمبادئ السامية، ويقود إلى بناء مجتمع قوي ومتآلف.

٤) حاجة المجتمع إلى التذكير بالقيم الأخلاقية الربانية، خاصَّة وإنَّنا في فترة يسود فيها الإنحلال الأخلاقي، والتَّفكُّك المجتمعي، والانفتاح على ثقافات يشوبها الزيف والتخبط، ولا يعلم عواقبها إلا الله وحده.

ويهدف هذا الموضوع إلى أمور، منها:

١) دراسة لغة القيم الأخلاقية في الآيات المختارة من سورة النحل للوقوف على خصائصها الصوتية والدلالية والبنيوية والتركيبية، والتي وظَّفها الخطاب القرآني؛ لتكشف عن وظائفها الاجتماعية.

٢) الكشف عن القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية في الآيات- موضوع الدراسة-؛ لتأصيلها وترسيخها في عقيدة المسلمين، وبيان دورها في بناء المجتمعات ورقيها.

٣) توجيه الاهتمام بمنظومة القيم الإسلامية؛ لما لها من عظيم الأثر في تماسك المجتمع، وبناء الأمم والشعوب.

وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١) هل يمكن دراسة لغة الخطاب القرآني الأخلاقي في ضوء علم اللغة الاجتماعي؟

٢) كيف خدمت لغة القرآن الكريم من جميع جوانبها – الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية- في ترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية؟.

٣) هل تنوع الخطاب القرآني؛ من أجل نشر القيم الأخلاقية، وهل ربطها بالواقع المجتمعي للمخاطبين؟.

وقد سُبقت دراستي هذه بعدَّة دراسات، أذكر منها رسالتين وبحثين:

١) (رسالة دكتوراه) بعنوان: سورة القصص في ضوء علم اللغة الاجتماعي دراسة تحليلية وتطبيقية من الآيات القرآنية: للباحث/ شمس البحري بن عبد الحميد، المشرفون/ أ.د.الحاج محمد رشدي خالد، أ.د. الحاج صبر الدين غرانجنغ، د. الحاجة عمره قاسم، جامعة علاء الدين الإسلامية- مكاسر، ٢٠١٤م.

يتبين من خلال قراءة هذه الرسالة أنها اهتمت بالجانب النظري أكثر من الجانب التطبيقي، كما أنَّها لم تُبوِّب آيات سورة القصص في عناوين لغوية اجتماعية، ولم تشر إلى الإشارات الجسمية في السورة الكريمة، والتي لا يقل دورها في إبراز المعاني الاجتماعية عن الألفاظ.

٢) (رسالة دكتوراه) بعنوان: لغة القرآن من أول سورة النور إلى نهاية سورة القصص دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي: للباحثة/ أسماء عبد الحميد سيد أحمد، إشراف/ أ.د. نعيم مصطفى يحيى شرف، وأ.د. عصام فاروق إمام، جامعة الأزهر، ١٤٤٤هـ- ٢٠٢٢م.

تختلف هذه الرسالة عن سابقتها في أنَّ الباحثة اهتمت بالجانب التطبيقي، حيث أبرزت الجانب الاجتماعى من خلال التحليل اللغوي لبعض الآيات المشتملة على القضايا الاجتماعية للسور المختارة للدراسة، والتي عنونت لها بعناوين لغوية اجتماعية، وكذلك اهتمت بالإشارات الجسمية وأثرها في التواصل.

البحثان هما:

١) الأئتلاف والاختلاف في خطاب سيدنا سليمان-عليه السلام- وملكة سبأ في القرآن دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، د. عبير نجار، نشر بالمجلة

الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد (٧)، العدد (٣)، عام ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ويقع في إحدي وعشرين ورقة فقط.

وهو بحث قيِّم يركِّز على مدى مناسبة حديث الشخص في القصة القرآنية لجنسه ومقامه الاجتماعي، وذلك من خلال خطاب الملك سليمان -عليه السلام- وخطاب الملكة بلقيس -ملكة سبأ- في سورة النمل، حيث قامت بتحليل الخصائص: الصوتية، والمعجمية، والصرفية، والنحوية في خطابهما بالاستفادة من معطيات علم اللغة الاجتماعي. واختلاف اللغة تبعًا لاختلاف الجنس من مجالات علم اللغة الاجتماعي.

٢) لغة القيم الأخلاقية في سورة النور، دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعية، أ.د. اعتماد عبد الصادق عفيفي، نشر بمجلة الدراسات الإسلامية والعربية بنين، بالقاهرة، جامعة الأزهر، المجلد (٧)، العدد (٣٥)، عام ٢٠١٨م.

وهو بحث متميز خاصَّة في الجزء التأصيلي النظري لعلم اللغة الاجتماعي، والتحليل اللغوي، أمَّا الدراسة التحليلية فقد ركَّزت على ثلاث قيم هي (الاستئذان- العفاف- حفظ البصر).

وتختلف دراستي عن هذه الدراسات: أنَّها تركِّز على الخطاب الأخلاقي الوارد في الآيات الثلاث [٩٠: ٩٢] من سورة النحل، وقد قمت فيه بتحليل لغوي شامل لكل مفردات الآيات الثلاث- إلا النذر اليسير-؛ نظرًا لتركيزها على تلك القيم الأخلاقية والاجتماعية من العدل والإحسان وإعطاء ذي القربى والوفاء بالعهد- وربط ذلك بوظيفته الاجتماعية كما سيتَّضح من خلال البحث.

وقد اتبعت في دراستي هذه المنهج الوصفي التفسيري[١]، الذي يصف ويُفسِّر ويشرح ما في اللغة من ظواهر مختلفة مع ذكر العلل والأسباب؛ وذلك من خلال

(١) ينظر: دراسات في علم اللغة الحديث: أ.د. عبد التواب مرسى حسن الأكرت، (ص ١٩٥، ١٩٦)، ط: ١، (د. ت).

التحليل اللغوي (الصوتي والصرفي والتركيبي والمعجمي) الشامل لجميع مفردات الآيات من [٩٠: ٩٢] من سورة النحل؛ للوقوف على المعاني اللغوية والاجتماعية لتلك المفردات الأخلاقية، التي يهدف الخطاب القرآني إلى نشرها، وترسيخها في عقيدة المسلمين، معتمدة في ذلك على كتب التفاسير، والمراجع العلمية التي تخدم طبيعة الدراسة.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع وأهدافه، وأسئلة البحث، والدراسات السابقة عليه، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد: وفيه مفاهيم أساسية لمصطلحات العنوان.

أولًا: مفهوم الخطاب لغة واصطلاحًا.

ثانيًا: مفهوم الخطاب القرآني.

ثالثًا: مفهوم الأخلاق.

رابعًا: مفهوم علم اللغة الاجتماعي.

خامسًا: بين يدي سورة النحل.

المبحث الأول: عنونته بـــ: الخطاب الأخلاقي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الآية: ٩٠]، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التحليل اللغوي لخطاب الحثّ على قيم العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى.

المطلب الثاني: التحليل اللغوي لخطاب النهي عن الفحشاء والمنكر والبغي.

المبحث الثاني: عنونته بـــ: الخطاب الأخلاقي في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ [الآيتين: ٩١، ٩٢]، وفيه:

-التحليل اللغوي لخطاب الأمر بالوفاء بالعهد وعدم نقض الأيمان.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة.

وأخيرًا ختمت هذه الدراسة بثبت المصادر والمراجع.

وفهرس الموضوعات

وخِتَامًا: فإِنِّي لا أَدَّعِي فِي عملي هذا بلوغ الكمال؛ إذ الكمال المطلق لله وحده، إلا أَنَّني لم أَدَّخر جُهْدًا كان في وسعي أن أبذله إلا فعلت، فأسأل الله – العلي القدير– أن يرزقنا التوفيق والسداد، والإخلاص في القول والعمل، وأن ينفع به طلابَ العلم، اللهم آمين يارب العالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الباحثة/ إيمان محمد خضري

التمهيد

مفاهيم أساسية لمصطلحات العنوان

أولًا: مفهوم الخطاب:

أ- الخطاب لغة:

الخطاب أحد مصدري الفعل (خاطب)، ويقتصر معناه في المعاجم العربية حول معنى مراجعة الكلام، قال الخليل في معجمه: "الخَطْبُ: سَبَبُ الأمر... والخِطَابُ: مُرَاجَعَةُ الكَلَامِ"(١).

وذكر ابن فارس أن أحد أصلي معناه الكلام بين اثنين، حيث قال: "الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطِبُهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ"(٢).

ويفهم من هذا أن الخطاب في اللغة هو: الكلام بين متكلم وسامع.

والمتكلم في الخطاب – هنا- هو الله – جلَّ في علاه- والسامع هم عموم الناس من المسلمين وغير المسلمين – كما سيتَّضح من خلال هذه الدراسة بإذن الله تعالى.

وقد وردت مادة (خ ط ب) في القرآن الكريم بصيغ متعددة منها صيغة المصدر، كما في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص/ ٢٠].

---

(١) كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة (خ ط ب)، (٢٢٢/٤)، تح/د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (د. ط) (د. ت).

(٢) مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مادة (خ ط ب)، (١٩٨/٢)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د. ط)، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

وقد فسَّر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) فصل الخطاب بـ "بلاغة الكلام وجمعه للمعنى المقصود بحيث لا يحتاج سامعه إلى زيادة تبيان"(١).

ب- الخطاب اصطلاحًا:

يعرفه الكفوي (ت١٠٩٤هـ) بأنَّه: "الكلام اللفظي أو النفسي الموجَّه نحو الغير؛ للإفهام"(٢).

ويرى منير البعلبكي أنَّ الخطاب يطلق على الكلام المنطوق خاصَّة، أو المكتوب، وعلى الحوار عندما يتجاوز الجملة الواحدة(٣).

ويتردد لفظ الخطاب كثيرًا بالاقتران بوصف آخر، مثل الخطاب الثقافي، الخطاب الصوفي، الخطاب السياسي، الخطاب التاريخي، الخطاب الاجتماعي(٤).

وأسمى هذه الخطابات وأرفعها شأنًا الخطاب القرآني، وبما أنَّ الخطاب يعتمد على اللغة بوصفها المادة الرئيسة، والخطاب القرآني هو خطاب لغوي في المقام الأول؛ لذا ينبغي الحديث عن كلٍّ منهما:

أولًا: الخطاب اللغوي وحدُّه:

"كلُّ منطوق به موجَّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودًا مخصوصًا مع تحقيق أهداف معينة، ويستوي في ذلك الخطاب بشقَّيه: المكتوب والشفهي، كما

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: الشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور، (٢٢٩/٢٣)، الدار التونسية للنشر، (د. ط)، ١٩٨٤م.

(٢) الكليات(معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): أبو البقاء الكفوي، (ص ٤١٩)، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: ٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٣) معجم المصطلحات العربية: رمزي البعلبكي، (ص١٥٣)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م، (د. ط).

(٤) استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، (ص ٣٤)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: ١، ٢٠٠٤م.

يستوي المرسل إليه الحاضر أو المستحضر، فلا يقتصر توجيهه إلى المرسل إليه الحاضر عيانًا وإنَّما يتجاوز توجيهه إلى المرسل إليه الحاضر في الذهن"[١].

ثانيًا: مفهوم الخطاب القرآني:

الخطاب القرآني هو "خطاب إلهي مفارق في مرجعيته من حيث طبيعة المتكلم -جلَّ وعلا-، وطبيعة النص، إلا أنَّه يُخضع المنظومات الخطابية له، من حيث إمكانية دراسته خطابًا لغويًا ذا رسالة ما، تنزل في سياق خاص على المتلقي الأول رسول الله- ﷺ- ثمَّ من معه من المؤمنين، ويحمل سمات تجدِّده من حيث المتلقين، وتجدِّد السياقات الظرفية التي يتعاطى معها في كل مرة، وما يتطلبه ذلك من تجدُّد قراءة الخطاب"[٢].

ومعنى هذا أنَّ كتاب الله -عزَّ وجلَّ- يخاطب كلَّ المجتمعات الإنسانية في كل زمان ومكان؛ لينقل إليها- كمتلقٍ- العقيدة الصحيحة والعقل الواعي المستنير المتحرر من أغلال التقليد الأعمى للآخرين والسابقين؛ كما ينقل إليها الأخلاق السامية التي تخلق جيلًا يتمتَّع بالشخصية المتَّزنة الواعية القادرة على أن تقود المجتمعات؛ فينشأ المجتمع الفاضل الذي تطمح إليه كلُّ البشرية[٣].

---

(١) استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: (ص ٣٩).

(٢) فاعلية المستويات اللغوية في قراءة الخطاب القرآني (سورة النمل أنموذجًا): للباحثين/ طاهري بلقاسم و معراجي أم جيلالي، (مقدمة ص أ)، رسالة ماجستير، إشراف/ أ.د بلقاسم عيسى، ود. حاجي زوليخة، جامعة ابن خلدون – تيارت، الجزائر، للعام الجامعي ١٤٤٣هـ-١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م-٢٠٢٣م.

(٣) ينظر: لغة القرآن من أول سورة النور إلى نهاية سورة القصص دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي: للباحثة/ أسماء عبد الحميد سيد أحمد، (ص ١٣)، رسالة دكتوراه، إشراف/ أ.د. نعيم مصطفى يحيى شرف، وأ.د. عصام فاروق إمام، جامعة الأزهر، ١٤٤٤هـ- ٢٠٢٢م.

ثالثًا: مفهوم الأخلاق:

أ- الأخلاق لغة:

الأخلاق جمع خُلُق، والخلُق بضمِّ اللام أو سكونها هو الدِّين والطبع والسجية، قال ابن منظور: "الخُلُقُ، بِضَمِّ اللَّامِ وَسُكُونِهَا: وَهُوَ الدِّينُ والطَّبْعُ وَالسَّجِيَّةُ، وَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ لِصورةِ الإِنْسَانِ الْبَاطِنَةِ وَهِيَ نفْسه وأَوْصَافها وَمَعَانِيهَا المُخْتَصّةُ بِها بِمَنْزِلَةِ الخَلْق لِصُورَتِهِ الظَّاهِرَةِ وأَوْصَافها وَمَعَانِيهَا"(١).

وعرَّف الراغب الأصفهاني الأخلاق فقال: "الخَلْقُ والخُلُقُ في الأصل واحد ... خصَّ الخَلْق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخصَّ الخُلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة"(٢).

وجاء في المعجم الوسيط أنَّ موضوع الأخلاق هو أحكام قيميَّة تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح(٣).

ب- الأخلاق اصطلاحًا:

وردت عدَّة تعريفات لمفهوم الخلق – عند اللغويين والفلاسفة والتربويين- وسيقتصر البحث هنا على تعريف الإمام الجرجاني، حيث عرَّفه بأنَّه: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقًا سيئًا"(٤).

---

(١) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، (خ ل ق) (٨٦/١٠)، دار صادر – بيروت، ط ٣: ١٤١٤هـ.

(٢) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (خ ل ق) (ص ٢٩٧)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (٢٥٢/١)، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، (د. ط) (د. ت).

(٤) كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (ص ١٠١)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط: ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

وأمَّا عن تعريف الأخلاق حسب الخطاب الربانيِّ فقد عرَّفها بعض الباحثين بأنَّها عبارة عن: "مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحدِّدها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقِّق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه"(١).

وموضوع الأخلاق في القرآن الكريم هو: "كلُّ ما يتَّصل بعمل المسلم ونشاطه، وما يتعلَّق بعلاقته بربِّه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد"(٢).

وذلك أنَّ كتاب الله اتَّجه بجملة من الأوامر والنواهي ذات الصبغة الأخلاقية إلى مختلف الأفراد، سعيًا منه في إصلاح أخلاق الأفراد، والارتقاء بالروح الإنسانية وتنقيتها ممَّا يشوبها ويعكِّر صفوها، والسمو بها عن صغائر الأمور، وتحمُّل أمانة عمارة الأرض على نحو ما يقرّره المنهج الإلهي، فخاطبهم بها فردًا فردًا(٣)، "وهذه الأوامر والنواهي تتعلَّق بالكليات الضرورية التي تتوقَّف حياة المجتمع الإسلامي عليها كلّ التوقُّف، وبدونها يتعذر العمران، ويفشو الانحلال، ويضيع الأمن ويفسد النظام"(٤).

فمكارم الأخلاق إذن ضروة دينية واجتماعية، لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، والأخلاق الفاضلة في أفراد الأمم والشعوب تمثِّل المعاقد الثابتة التي تعقد بها الروابط الاجتماعية(٥).

---

(١) التربية الأخلاقية الإسلامية: يالجين مقداد، (ص ٧٥)، دار علم الكتاب، الرياض، ط: ١، ١٩٩٢م.

(٢) موسوعة الأخلاق: الخزار خالد، (ص ٢٢)، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، ط: ١، ٢٠٠٩م.

(٣) القيم الأخلاقية في التراث التفسيري: د. عبد القادر الشايط، (ص ١٥٢)، مجلة المرقاة، السنة الرابعة، مجلد (٦)، العدد السادس، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م.

(٤) التيسير في أحاديث التفسير: الشيخ/ محمد المكي الناصري، (٣٩٠/٣)، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٥) ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن الميداني، (ص٢٩)، بيروت، دار القلم، (د. ط) (د. ت).

وقد أدرك علماء الإسلام على مرّ العصور أهمية الأخلاق ودورها في بناء الأمم والحضارات فأفردوا لها المؤلفات والرسائل، بل لم يخل مؤلف من مؤلفاتهم من إشارة إلى الأخلاق وتذكير بأهميتها، وندب على الالتزام بها، فهي الأساس الأول لبناء مجتمع قوي متماسك، وصلاح أي مجتمع أو فساده مرتبط بصلاح الأخلاق أو فسادها(١).

وسيتعرض البحث- بإذن الله تعالى- لبعض هذه القيم الأخلاقية والاجتماعية من خلال آيات الدراسة.

رابعًا: مفهوم علم اللغة الاجتماعي:

ممَّا لا شك فيه أنَّ اللغة مرتبطة بالمجتمع ارتباطًا وثيقًا لا ينفك، فهي المرآة التي تعكس "ما يسير عليه الناطقون بها في شؤونهم الاجتماعية العامة؛ فعقائد الأمة، وتقاليدها، وما تخضع له من مبادئ في نواحي السياسة والتشريع القضاء والأخلاق والتربية وحياة الأسرة، وميلها إلى الحرب أو جنوحها إلى السلم ... كلّ ذلك وما إليه يصبغ اللغة بصبغة خاصَّة في جميع مظاهرها: في الأصوات والمفردات والدلالة والقواعد والأساليب"(٢).

ومن هنا ظهر علم اللغة الاجتماعي كأحد أفرع علم اللغة التطبيقي، حيث يهدف إلى دراسة علاقة اللغة بالمجتمع، واعتبارها علاقة تأثير وتأثر، بمعنى آخر: هو البحث في كيفية تأثير اللغة في المجتمع، وكيف يؤثِّر هو فيها، وعلى هذا الأساس يُعرَّف علم اللغة الاجتماعي على أنَّه: "دراسة للغة في علاقتها بالمجتمع"(٣).

---

(١) ينظر: القيم الأخلاقية في التراث التفسيري: (ص ١٥٧) وما بعدها.

(٢) اللغة والمجتمع: د.علي عبدالواحد وافي، (ص ــ١١)، دار إحياء الكتب العربية، ط:٢، ١٣٧٠هـ -١٩٥١م.

(٣) علم اللغة الاجتماعي، د. هدسون، (ص ١٧)، ترجمة: د. محمد عياد، مراجعة: د. نصر حامد، د.مجمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب، ط:٢، ١٩٩٠م.

ويُعرَّف – أيضًا– بأنَّه "علم يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني، واستعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي للسلوك، ويركِّز على الموضوعات التي ترتبط بالتنظيم الاجتماعي لسلوك اللغة"(١)

أو أنَّه "يحاول الكشف عن القوانين والمعايير الاجتماعية التي توضِّح وتنظم سلوك اللغة وسلوك الأفراد نحو اللغة في المجتمع"(٢).

فعلم اللغة الاجتماعي يهتمُّ بدراسة الطرائق التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، والطرائق التي تتغير بها البنية اللغوية استجابة لوظائفها الاجتماعية، من خلال تحديد القوانين العامة التي تتحكم في الاستعمال الفعلي للغة في مجتمع معين أو في جميع المجتمعات (٣).

لذا يرى د/ تمَّام حسَّان أنَّ "الوصول إلى هذا المعنى الاجتماعي وهذه الوظيفة يتمُّ بطريق التحليل الدقيق للملابسات المصاحبة للنطق"(٤)؛ ومن ثَمَّ يتحتَّم على دراس اللغة من منظور علم اللغة الاجتماعي أن يراعي في تحليله أي خطاب لغوي جملة من العناصر اللغوية وغير اللغوية المكونة له، والتي منها(٥):

أ) شخصية المتكلم أو السامع، وتكوينها الثقافي، وانتماؤها الاجتماعي وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي.

---

(١) علم اللغة الاجتماعي، مفهومه وقضاياه: د. صبري إبراهيم السيد، (ص ١٨)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندارية، ١٩٩٥م، (د. ط).

(٢) التفكير اللغوي بين القديم والحديث: د. كمال بشر، (ص ١٩٥)، دار غريب، ٢٠٠٥م، (د. ط).

(٣) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: د. نايف خرما، (ص ١٧٠)، عالم المعرفة، ١٩٧٨م، (د. ط).

(٤) مقالات في اللغة والأدب: د. تمام حسان، (٣٣٠/١)، عالم الكتب، ط: ١، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.

(٥) ينظر: علم اللغة الاجتماعي عند العرب: د.هادي نهر، (ص ١٨٨، ١٨٩)، ط: ١، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

ب)موضوع الخطاب، أو ما يدور حوله الكلام.

ج) هدف النص الكلامي وغايته المتوخاة في المشتركين في الكلام كالإقناع أو التحذير ... .

د) العوامل والظواهر الاجتماعية –السياق الاجتماعي– ذات العلاقة باللغة، والسلوك اللغوي لمن يشارك في الحدث الكلامي، كالوضع السياسي، وجنس المتحدثين ....

ويركِّز البحث هنا على تحليل الخطاب الأخلاقي – كأحد مجالات علم اللغة الاجتماعي– للآيات المختارة من سورة النحل في ضوء وظائفها الاجتماعية؛ وذلك من خلال بنيته اللغوية المتمثلة في المستويات الآتية:

- المستوى الصوتي: وفيه تحليل صوتي للمفردات القرآنية موضع الدراسة "وذلك من حيث مخارج الأصوات ومدارجها ... ودلائلها وخصائصها في أحوال الجهر والهمس والرخاوة، وملامح صوائتها وصوامتها في السكون وعند الحركة، وضوابطها في الإطباق والانفتاح"(١).

وقد يسهم ذلك في إبراز بعض الدلالات الاجتماعية، لتلك المفرادت موضع الدراسة.

- المستوى الصرفي: وفيه تحليل للأبنية والصيغ الصرفية ودلالتها؛ فلكل بناء "دلالة في المعنى إلى جانب وظيفته التركيبية، وتحديد شكل البنية يقوم على المعنى المراد، فالمتكلم يتحكم في تصريف الكلمة الأصلية بزيادة أو نقصان أو نقل من زمان إلى زمان"(٢).

---

(١) الصوت اللغوي في القرآن: د. محمد حسين علي الصغير، (ص ١٥)، دار المؤرخ العربي – بيروت، ط: ١، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.

(٢) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: د. محمود عكاشة، (ص ٦١)، دار النشر للجامعات، ط: ٢، ٢٠١١م.

- المستوى التركيبي: من خلال هذا المستوى يستطيع المتكلم أن ينقل أفكاره، ويتواصل مع الآخرين؛ إذ "لا يتصوَّر أن يتعلَّق الفكر بمعاني الكلم أفرادًا ومُجرَّدة من معاني النحو"(١).

ومن ثَمَّ تُعرَّف الدلالة التركيبية بأنَّها: "الدلالة الناشئة عن العلاقة بين وحدات التركيب أو المستمد من ترتيب وحداته على نحو يوافق القواعد"(٢).

فالنظام التركيبي هو الذي يؤثِّر غالبًا في المتلقي؛ إذ ينقل إليه قصد المتكلم من أمر أو نهي أو دعاء أو استفهام أو غير ذلك من الأساليب(٣).

ومن خلال ما سبق يمكن للباحثة استنباط الدلائل والخصائص الاجتماعية لتلك المفردات والصيغ والتراكيب التي يتشكل منها موضوع الدراسة.

خامسًا: بين يدي سورة النحل:

التعريف بالسورة:

سُمِّيت سورة النحل بهذا الاسم؛ لاشتمالها على قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [النحل/٦٨]. وهذه القصة هي قصة النحل التي ألهمها الله امتصاص الأزهار والثمار، وتكوين العسل الذي فيه شفاء، وتلك قصة عجيبة مثيرة للتفكير والتأمل في عجيب صنع الله تعالى. والاستدال بهذا الصنع العجيب على وجود الله سبحانه(٤). وفي هذه القصة حكمة

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار،(ص ٤١٠)، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، بالقاهرة، ط:٣، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

(٢) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: (ص ١٢٥).

(٣) ينظر: لغة القرآن من أول سورة النور إلى نهاية سورة القصص دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي: (ص ١٤).

(٤) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، (٧٩/١٤)، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط: ٢، ١٤١٨هـ.

بليغة تشير إلى عجيب صنع الخالق وتدلُّ على الوحدانية بهذا الصنع العجيب"[١].

وتسمَّى أيضًا (سورة النعم)؛ بسبب ما عدَّد الله فيها من نعمه على عباده[٢].

وهي كسائر السور المكِّيَّة تعالج موضوعات العقيدة الكبرى الألوهية، والوحي، والبعث، والنشور. ولكنها تلمّ بموضوعات جانبية أخرى تتعلق بتلك الموضوعات الرئيسة. تلمّ بحقيقة الوحدانية الكبرى التي تصل بين دين إبراهيم – عليه السلام– ودين محمد – ﷺ – وتلمّ بحقيقة الإرادة الإلهية والإرادة البشرية فيما يختص بالإيمان والكفر والهدى والضلال. وتلمّ بوظيفة الرسل، وسنة الله في المكذبين لهم. وتلمّ بموضوع التحليل والتحريم وأوهام الوثنية حول هذا الموضوع. وتلمّ بالهجرة في سبيل الله وفتنة المسلمين في دينهم، والكفر بعد الإيمان وجزاء هذا كله عند الله... ثمَّ تضيف إلى موضوعات العقيدة موضوعات المعاملة: العدل والإحسان، والإنفاق والوفاء بالعهد، وغيرها من موضوعات السلوك القائم على العقيدة. وهكذا هي مليئة حافلة من ناحية الموضوعات التي تعالجها.

فأمَّا الإطار الذي تعرض فيه هذه الموضوعات، والمجال الذي تجري فيه الأحداث، فهو فسيح شامل.. هو السماوات والأرض. والماء الهاطل والشجر النامي. والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم. والبحار والجبال والمعالم

---

(١) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: مصطفى مسلم وآخرون، (١٣١/٤)، جامعة االشارقة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، (٣٧٧/٣)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

والسبل والأنهار. وهو الدنيا بأحداثها ومصائرها، والأخرى بأقدارها ومشاهدها. وهو الغيب بألوانه وأعماقه في الأنفس [١].

وأمَّا سبب نزولها فشأنها شأن السور المكِّيَّة هو تثبيت قلب النبي -ﷺ- والمؤمنين؛ إذ هم حديثو عهد بالإيمان، والردّ على المشركين، وقد نزلت آياتها منجّمة حسب الوقائع والأحداث[٢].

(١) ينظر: في ظلال القرآن: (٤/٢١٥٨)، وأهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: عبد الله محمود شحاته، (ص ١٧٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د. ط)، ١٩٧٦م.

(٢) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لمصطفى مسلم وآخرون، (٤/١٣٢).

المبحث الأول

الخطاب الأخلاقي

في قوله – تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [الآية /٩٠].

توطئـــــة:

قال الله – تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾.

مناسبة الأية لما قبلها:

تَتَّصِلُ الآية الكريمة بما قبلها من وجوه:

أولا: أنَّه "لما جاء أن هذا القرآن تبيان لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين حسن التخلص إلى تبيان أصول الهدى في التشريع للدين الإسلامي العائدة إلى الأمر والنهي، إذ الشريعة كلها أمر ونهي، والتقوى منحصرة في الامتثال والاجتناب، فهذه الآية استئناف لبيان كون الكتاب تبياناً لكل شيء، فهي جامعة أصول التشريع"(١).

ثانيًا: أنَّه لما بين تعالى فضل هذا القرآن بما يقطع حُجَّتهم، وكان قد قدَّم فضل من يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، أخذ يبين اتصاف القرآن ببيان كل شيء، وتضمّنه لذلك الطريق الأقوم، فقال تعالى جامعاً لما يتصل بالتكاليف فرضًا ونفلًا، وما يتصل بالأخلاق والآداب عمومًا وخصوصًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي الملك المستجمع لصفات الكمال ﴿يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾وهو الإنصاف الذي لا يقبل عمل بدونه(٢).

---

(١) التحرير والتنوير: (٢٥٤/١٤).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (٢٣٥/١١)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ط) (د. ت).

ثالثًا: أنَّه – سبحانه – لما استقصى في شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب أتبعه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾، فجمع في هذه الآية ما يتصل بالتكاليف فرضًا ونفلًا، وما يتصل بالأخلاق والآداب عمومًا وخصوصًا(١).

"ولا شك أنَّ العدل والإحسان– بالمعنى العام– ووحدة القلوب بإعطاء ذي القربى، والبعد عن الفحشاء والمنكر من جميع الأفراد، والتباعد عن البغي والظلم، والوفاء بالعهد، وعدم نقض المعاهدات كل ذلك: دعائم لإخراج مجتمع إسلامى نظيف، مجتمع قوى عزيز، مجتمع كان أمل الفلاسفة والمصلحين، وفي هذا ردّ على من يفهم الدين على أنّه عبادة فقط أو أنَّه دين لا دولة أو أنّه لا يصلح لكل زمان"(٢).

سبب النزول:

عن "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– بِفِنَاءِ بَيْتِهِ بِمَكَّةَ جَالِسًا، إِذْ مَرَّ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فَكَشَّرَ إِلَى النَّبِيِّ – ﷺ– فَقَالَ لَهُ: "أَلَا تَجْلِسُ" فَقَالَ: بَلَى، فَجَلَسَ إِلَيْهِ مُسْتَقْبِلَهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُهُ إِذْ شَخَصَ بَصَرُهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَنَظَرَ سَاعَةً وَأَخَذَ يَضَعُ بَصَرَهُ [حَتَّى وَضَعَ عَلَى يَمِينِهِ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ تَحَرَّفَ عَنْ جَلِيسِهِ عُثْمَانَ إِلَى حَيْثُ وَضَعَ بَصَرَهُ] فَأَخَذَ يُنْغِضُ رَأْسَهُ كَأَنَّهُ يَسْتَفْقِهُ مَا يُقَالُ لَهُ، ثُمَّ شَخَصَ بَصَرُهُ إِلَى السَّمَاءِ كَمَا شَخَصَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَأَتْبَعَهُ بَصَرَهُ حَتَّى تَوَارَى فِي السَّمَاءِ، وَأَقْبَلَ عَلَى عُثْمَانَ كَجِلْسَتِهِ الْأُولَى، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ فِيمَا كُنْتُ أُجَالِسُكَ وَآتِيكَ مَا رَأَيْتُكَ تَفْعَلُ فَعْلَتَكَ الْغَدَاةَ، قَالَ: "مَا رَأَيْتَنِي فَعَلْتُ؟ " قَالَ: رَأَيْتُكَ شَخَصَ بَصَرُكَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ وَضَعْتَهُ حِينَ وَضَعْتَهُ عَلَى يَمِينِكَ، فَتَحَرَّفْتَ إِلَيْهِ وَتَرَكْتَنِي،

---

(١) مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (٢٥٨/٢٠)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠هـ.

(٢) التفسير الواضح: الحجازي، محمد محمود، (٣٣٤/٢)، دار الجيل الجديد– بيروت، ط: ١٠، ١٤١٣هـ.

فَأَخَذْتَ تُنْغِضُ رَأْسَكَ كَأَنَّكَ تَسْتَفْقِهُ شَيْئًا يُقَالُ لَكَ، قَالَ: "أَوَ فَطِنْتَ إِلَى ذَلِكَ؟ " قَالَ عُثْمَانُ: نَعَمْ، قَالَ: "أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ آنِفًا وَأَنْتَ جَالِسٌ" قَالَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: فَمَاذَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: "قَالَ لِي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾" قَالَ عُثْمَانُ: فَذَاكَ حِينَ اسْتَقَرَّ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي وَأَحْبَبْتُ مُحَمَّدًا - ﷺ-"[1].

المعنى العام للآية الكريمة:

يخاطب المولى – سبحانه- جموع الناس قائلًا: "﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الْآيَةَ "فإنَّ العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط المُومَى به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية والإحسان هو الإخلاص في واجبات العبودية لتفسيره في الحديث بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه"[2] أي تعبده مخلصًا في نيتك وواقفًا في الخضوع آخذًا أهبة الحذر إلى ما لا يحصى ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ هو الزيادة على الواجب من النوافل- كصلة الأرحام- هذا في الأوامر.

وأمَّا النواهي فبالفحشاء الإشارة إلى القوَّة الشهوانية – كالزنا وغيره من المعاصي- وبالمنكر إلى الإفراط الحاصل من آثار الغضبية أو كلّ مُحرَّم شرعًا وبالبغي إلى الاستعلاء الفائض عن الوهميّة- كالكبر والظلم وما شابهه-.

---

(١) أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ص ٢٨٠)، عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط: ٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٢) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، رقم (٥٠) (١٩/١) (كتاب الإيمان) (باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

... ولهذا قال ابن مسعود: ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية[١] .. وروى البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن أنَّه قرأها يومًا ثمَّ وقف فقال: إِنَّ الله جَمَعَ لَكُمْ الْخَيْرَ كُلَّهُ والشَّرَّ كُلَّهُ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ، فَوَ الله مَا تَرَكَ الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ مِنْ طَاعَةِ الله شَيْئًا إِلَّا جَمَعَهُ وَلَا تَرَكَ الْفَحْشَاءُ وَالْمُنْكَرُ وَالْبَغْيُ مِنْ مَعْصية الله شيئًا إلا جمعه[٢]"[٣].

وقال قتادة: ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به في هذه الآية، وليس من خلق كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدح فيه، وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها[٤].

ثمَّ ختمت الآية الكريمة بقوله: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ "أي يأمركم بما يرقق قلوبكم من مصاحبة ثلاثة ومجانبة ثلاثة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي ليكون حالكم حال من يرجى تذكره، لما في ذلك من المعالي بما وهب الله من العقل، الداعي إلى كل خير، الناهي عن كل ضير"[٥].

---

(١) المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، (٣٣٥٨)، (كتاب التفسير) (تفسير سورة النحل)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، قال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه" .

(٢) شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، (٢٢١٦) (تعظيم القرآن) (فصل في فضائل السور والآيات)، تح: د.عبد العلي عبد الحميد، إشراف: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع السلفية ببومباي بالهند، ط: ١، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (١٨٢/٣)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، (٢٨٠/١٧، ٢٨١)، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (٢٣٩/١١).

ونظرًا لاشتمال الآية الكريمة على الأوامر والنواهي فقد قسمتها على هذين المطلبين:

المطلب الأول: التحليل اللغوي لخطاب الحثّ على قيم العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى:

قال الله – تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾.

التحليل اللغوي للآية الكريمة:

- افتتح الله – تعالى– الآية بقوله: (إِنَّ)[1] التي تفيد التوكيد؛ للاهتمام بشأن ما حوته[2] ويؤكِّد ذلك صوتيًا صوت (الهمزة) بشدَّته[3]، وبعد مخرجه، مع تشديد صوت (النون)، وجهره[4]؛ ليحاكي التشديد والاهتمام والانتباه لذلك المأمور به والمنهي عنه، وتصديرها باسم الجلالة للتشريف[5]، وقيل لقصد

(١) (إنَّ) وظيفتها توكيد الشيء وتثبيته حين يكون المخاطب طالبًا لذلك، فإذا كان طلبه أشد بأن كان حاكمًا بخلاف ما في نفس المتكلم قويت (إنَّ) بمؤكد آخر. ينظر: شرح تسهيل الفوائد: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، تح: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد المختون، (٢/٥، ٦)، هجر للطباعة والنشر، ط: ١، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م، وفي النحو العربي نقد وتوجيه: د.مهدي المخزومي، (ص ٢٣٧)، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط:٢، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: (٢٥٤/١٤).

(٣) الشديد: وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وحروفه: (الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء). ينظر: الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، (٤٣٤/٤)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: ٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م.

(٤) الجهر: هو اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بالصوت. ينظر: علم الصوتيات: د. عبد العزيز علام، و د. عبدالله ربيع، (ص ٢٦٤)، مكتبة الرشد، الرياض، (د. ط)، ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م.

(٥) ينظر: المصدر السابق نفسه.

تربية المهابة وإدخال الروعة في ضمير السامع بذكر الاسم المقتضي لذلك[١]؛ وليقبلوا على ما سمعوه بالطاعة والقبول.

وعلى الرغم من أنَّ السياق يقتضي الإخبار بأنَّ القرآن هو الذي يأمرنا؛ لأنَّ الآية بيان لما تضمَّنه القرآن من التبيان، إلَّا أنَّ النص لم يأت مخبرًا بذلك، وذلك تصريحًا بأنَّ القرآن إنَّما هو من عند الله، وأنَّ التبيان من الله تعالى لا من أحد غيره.

- وجاء التعبير بـــالفعلين (يأمر) و(ينهى)[٢]؛ لأنَّ الآية بيان للآية السابقة [وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ]، وللدلالة على أنَّ التبيان والهدى والرحمة والبشرى تكون بإطاعة الله في الأمر والنهي[٣].
- وذكر (يأمر) دون أن يقال: اعدلوا؛ للتشويق[٤] ولتعظيم المأمور به والتنبيه عليه، كأنَّه يقول له: افعل كذا وهو أمر فاحذر أن تعصيه[٥].
- ويؤكِّد ذلك صوتيًا: صوت الياء بجهره وانفتاحه[٦]، صوت الهمزة بشدَّته

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، (٤٩٠/٢)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط ١: ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

(٢) سيأتي الحديث عن المنهيات في المبحث الثاني.

(٣) ينظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي، (ص ٢٩٦)، الأردن، عمان، ط: ٢٠٠٣م.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: (٢٥٤/١٤).

(٥) ينظر: التفسير البياني: (ص ٢٩٦).

(٦) سُمِّيت الحروف المنفتحة بذلك؛ لأنَّك لا تطبق بشيء منها لسانك على الحنك، والحروف المنفتحة هي ماعدا الحروف المطبقة: (ص- ض- ط - ظ) ينظر: التحديد في صنعة الإتقان والتجويد: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، (ص ٥٧)، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، ط: ١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

وبعد مخرجه، والميم والراء بتوسطهما[١] وما يمتازان به من الوضوح السمعي- إذ تشبه أصوات التوسط الحركات في وضوحها السمعي وحرية مرور الهواء معها مع اختلاف مواضع النطق فيما بينها-، إضافة إلى جهرهما، فكل ذلك يتناسب ومقام التنبيه والتوجيه، كما يحُثُّ المخاطبين على الالتزام بالمأمور به وتعظيمه.

- وإيثار صيغة الاستقبال في الفعلين لإفادة التجدد والاستمرار[٢]، ولأنَّ الآية بيان للآية السابقة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ فكأنَّ التقدير: إنَّ الله يأمر الناس في القرآن بـــ... وينهى الناس في القرآن عن... ، والقرآن حاضر يأخذ الناس أحكامهم منه في كل وقت، ونتيجة ذلك، فإنَّ أمر الله ونهيه متجدّد في كلِّ وقت[٣].
- وقد جاء الخطاب القرآني بالجملة الاسمية[٤]؛ لما تفيده من ثبوت الحكم أو الوصف مطلقًا[٥]، فهي تمثل لونًا من ألوان التوكيد؛ إذ تكون في الإثبات لتأكيد

---

(١) الأصوات المتوسطة: هي الأصوات التي يُسمح للهواء بالمرور حال التفوه بها من مكان إلى آخر غير مكان المنع، وتسمى الأصوات المائعة لترددها بين منع الهواء والسماح له بالمرور، وتتمثل هذه الأصوات في الميم والنون واللام والراء. ينظر: دراسات في علم الأصوات اللغوية: د. صلاح الدين محمد قناوي، و د. أحمد طه سلطان، (ص ١٢٣، ١٢٤)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: ٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى،(١٣٦/٥)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د. ط) (د. ت).

(٣) ينظر: التفسير البياني: (ص ٢٩٦).

(٤) هي جملة تعطي مضمونًا تامًا مقصودًا لدى المتكلم، يرغب في توضيحه للسامع سواء كان مخبرًا أو مستفهمًا، وصدرها هو محور الكلام يبتدأ به الكلام؛ لأنَّه معلوم لدى طرفي الحديث، ويبنى عليه ما هو مجهول يُراد الإخبار به أو الاستفهام عنه، ينظر: النحو العربي: د. إبراهيم إبراهيم بركات،(٢١/١)، دار النشر للجامعات، مصر، ط: ١، (د. ت).

(٥) الزمن واللغة: د. مالك يوسف المطلبي، (ص ٥٥)، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط: (١٩٨٦م)، (د. ط).

الإثبات وفي النفي لتأكيد النفي لا لنفي التأكيد[١]، حيث أكَّد المولى – سبحانه– تلك الأوامر والنواهي التي تناولتها الآية الكريمة بـــ (إنَّ)؛ للاعتناء بشأنها، ولإيقاظ أذهان المخاطبين– وهم عموم الناس بما فيهم من هم حديثو عهد بالإسلام وقتها– لأهميتها، وللحرص على تعليم خلقه ما فيه الخير لهم في دينهم ودنياهم؛ ليقبلوا عليه بالطاعة والعمل.

- وحذف المفعول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾، أي لم يأت النص "يأمركم" أو "يأمرهم"؛ للدلالة على العموم، ليشمل كل مخاطب.

وكذلك حذف المفعول لتوجيه الانتباه إلى الفعل والفاعل، وترك الانشغال بالمفعول[٢].

وأوَّل ما أمر به الحقُّ – سبحانه وتعالى– (العدل): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾، والعدل في اللغة يدلُّ على: الحكم بالحقِّ، وهو نقيض الجور، قال الخليل: "العَدْلُ: المَرْضيُّ من الناسِ قولُهُ وحُكْمُهُ. والعَدْلُ: الحكْمُ بالحقِّ. وتقول: هو يَعْدِلُ، أي: يحكُمُ بالحقِّ والعدلِ. والعَدْلُ: نقيض الجَوْر"[٣].

- والاستواء كأحد معنييه كما ذكر ابن فارس، حيث يقول: "الْعَيْنُ وَالدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، لَكِنَّهُمَا مُتَقَابِلَانِ كَالْمُتَضَادَّيْنِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِوَاءٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى اعْوِجَاجٍ"[٤].
- واختلف أهل التأويل[٥] في تفسير العدل، فقال ابن عباس: العدل: لا إله إلا الله، وقيل العدل: الفرض. وقيل: العدل استواء العلانية والسريرة، وقال على

---

(١) ينظر: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): (ص ١٠٥٥).
(٢) ينظر: التفسير البياني: (ص ٢٩٧).
(٣) كتاب العين: (ع د ل) (٣٨/٢، ٣٩).
(٤) مقاييس اللغة: (ع د ل)(٢٤٦/٤).
(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، (٢٧٩/١٧)، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، وفتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (٢٢٤/٣، ٢٢٥)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط: ١، ١٤١٤هـ.

بن أبي طالب: العدل: الإنصاف، وبتأمل تلك التأويلات تجد أنها لم تخرج في حقيقتها تفسير (العدل) عن هذا المعنى اللغوي.

- وهو ما ذهب إليه الشوكاني، حيث قال: "والأولى تفسير العدل بالمعنى اللغوي، وهو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط فمعنى أمره سبحانه بالعدل أن يكون عباده في الدين على حالة متوسطة ليست بمائلة إلى جانب الإفراط وهو الغلو المذموم في الدين، ولا إلى جانب التفريط وهو الإخلال بشيء ممَّا هو من الدين"[١].
- وبتأمل التركيب الصوتي لكلمة (عدل) تبرز عدَّة عوامل صوتية تحاكي حقيقة معناها، وهي:

١) التوسط في صوتي العين[٢] واللام، والدال بينهما صوت شديد فكأنَّ هذا التركيب الصوتي يرسم بهيئته صورة الميزان باستواء طرفيه، وهو يمثل رمز العدل والحقِّ والإنصاف والاستواء.

٢) الجهر الملازم لتلك الأصوات الثلاثة يحاكي وضوح دلالة العدل وكونه ظاهر كالطريق المستقيم ليس فيه اعواجاج ولا التواء.

٣) ما اتصف به صوت العين وهو أول حروف مادة (ع د ل) من النصاعة والطلاقة وفخامة الجرس، حيث "تُكوِّن العين في وسط الحلق، بمرور زمير الجهر بين المضيق من أثناء السد البليل الرخو الذي يعترضه من تراجع جذع اللسان مع الغشاء العريض الرخو الذي يتصل به – إلى الجدار الخلفي الرخو،

---

(١) فتح القدير: (٣/٢٢٥).

(٢) هذا الوصف ذكره لها القدامى من علماء اللغة. ويقصد به التوسط بين صفتي الشدَّة والرخاوة. وحروفه هي: (ل– ن– ع– م – ر). ينظر: سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (١/٧٥)، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الأولي ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

وبسبب نفاذ الصوت من ذلك التجمع الرخو يشعر الناطق بتلك الرخاوة الملتحمة، ويكتسب الصوت عِرَض صداه ورقّته ونصوعه"[١]. ممَّا يناسب قيمة العدل ومكانته وتأثيره على الفرد والمجتمع، إذ يحقق السلام والتوازن مع النفس ومع المجتمع؛ فيحيا الجميع في أمن وآمان، فيؤدي كل فرد ما له وما عليه، فستقيم الحياة، وتنهض المجتمعات.

٤) الانفتاح في الأصوات الثلاثة، وامتداد صوت (اللام) واتساعه، ممَّا يحاكي سعة وشمول دلالته لكل ما يُقتضى العدل فيه، وهذا ما يؤكِّده المقطع المفتوح الذي ختمت به الكلمة (لِ = ص ح).

٥) القلقلة[٢] في صوت (الدال) مع الشدَّة والجهر تحاكي ما يتعرض له الحاكم بالعدل من محاولة ضبط النفس والعقل؛ ومن الشدَّة والوضوح؛ كي يحقِّق معنى التوازن والمساواة فيما يحكم.

٦) مجيء أوَّل الكلمة على مقطع متوسط مغلق (عَــدْ= ص ح ص)، يوائم معنى العدل من عدم تجاوزه عن الحقِّ الذي هو ظاهر لا جدال فيه، ولا مجال فيه للأهواء أو المحاباة وما شابههما.

- ودخول الألف واللام على الكلمة لاستغراق الجنس، حيث لم يذكر- سبحانه- متعلقات العدل ليَعُمَّ الأمر جميع ما يعدل فيه[٣].

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها: أ.د. محمد حسن حسن جبل،(٣٣/١)، مكتبة الآداب، ط: ١، ٢٠١٠م.

(٢) تُعرَّف حروف القلقلة بأنَّها: حروف مشربة ضعطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويتٌ ونبا اللسان عن موضعه، وهي: (القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء). ينظر: الكتاب: (١٧٤/٤).

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، (٢٨٠/٧)، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم – دمشق، (د. ط) (د. ت).

"ومن مشمولات العدل العدل بين الإنسان وربه، بإيثار حقَّ الله على حظِّ نفسه، والعدل بين الإنسان ونفسه، بمنعها عن كل ما فيه ضررها وهلاكها، وبمنحها كل ما فيه نفعها وصلاحها، والعدل بين الإنسان وأخيه من بقيَّة الناس، بإنصافهم من نفسه، وعدم الإساءة إليهم بقول أو فعل، لا في السر ولا في العلن"(١).

- فالعدل أمر عظيم، وركيزة أساسية من ركائز هذا الدين، فلا بد من مراعاة العدل الاجتماعي بين مختلف طبقات المجتمع، وإعطاء كل ذي حق حقه، فـ" الناس كلهم في حاجة مشتركة إلى بعضهم البعض، وما من أحد إلّا وله حقوق على غيره، ولغيره حقوق عليه، ولهذه الحاجة المشتركة والحقوق الممتزجة كان الاجتماع والتعاون ضروريين لحياة المجتمع البشري واطراد نظامه. وقيام كل واحد من أفراد المجتمع بما عليه من حقوق نحو غيره هو الذي يسدّ تلك الحاجة المشتركة بين الناس"(٢)، وكل إنسان مأخوذ بأن يعدل؛ لأنَّ إقامة العدل مطلب إنساني، إذ أن الحياة لا تستقيم لأحد إلا بإقامة العدل(٣).

والأمر الثاني (الإحسان): قال – تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾

- ومعنى الحسن، هو عبارة عن كلّ مبهج مرغوب فيه إمَّا عقلاً أو هوى أو حسًّا(٤)، وهو ضدُّ القُبْحِ، قال ابن فارس: "الْحَاءُ وَالسِّينُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ. فَالْحُسْنُ ضِدُّ الْقُبْحِ. يُقَالُ رَجُلٌ حَسَنٌ وَامْرَأَةٌ حَسْنَاءُ وَحُسَّانَةٌ"(٥).

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير: (٣/٣٥٣).

(٢) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، (ص٧٨، ٧٩)، تح: أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

(٣) القيم الأخلاقية في التراث التفسيري: د. عبد القادر الشايط، (ص ١٦٦، ١٦٧).

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن: (ح س ن) (ص ٢٣٥).

(٥) مقاييس اللغة: (ح س ن) (٢/٥٧).

و"الإحسان مصدر أحسن، وهي تستعمل متعدية بالحرف نحو: أحسن إلى والديك؛ ومنه قوله تعالى عن يوسف: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف/ ١٠٠]، وتستعمل متعدية بنفسها، كقولك: أحسن العامل عمله، أي: أجاده وجاء به حسناً. والله – جلَّ وعلا– يأمر بالإحسان بمعنييه المذكورين، فهما داخلان في الآية الكريمة؛ لأن الإحسان إلى عباد الله لوجه الله عمل أحسن فيه صاحبه. وقد فسَّر النبي ﷺ الإحسان في حديث جبريل بقوله: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[(١)]"[(٢)].

- فالتعبير القرآني أتى بالمصدر من الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة (أحسن) في الآية الكريمة؛ ليفيد التعدية – سواء بنفسه أو بالحرف– بمعنى إتقان الشيء على أكمل وجه، أي جاء به حسناً، حتى في الإحسان إلى الغير، وهذا يفيد دلالة العموم.
- وقد اختلف العلماء[(٣)] في تأويل الإحسان، فقال ابن عباس: الإحسان: أداء الفرائض– يعني الإتيان بها على الوجه المقبول؛ لأنَّ أداء الفرائض عدل–، أو

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (٤٣٧/٢)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، (د. ط).

(٣) ينظر: جامع البيان: (١٧ /٢٧٩)، والنكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، (٢٠٩/٣)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، (د. ط) (د. ت)، والجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (١٦٥/١٠، ١٦٦)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط ٢: ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

الإخلاص في التوحيد. وقيل الإحسان: النافلة، وقال على بن أبى طالب: الإحسان: التفضل. وقيل: أن تكون سريرته أفضل من علانيته.

- وأيًا كان المراد به في الآية الكريمة، فحقيقة معنى الحسن ملازمة لتلك التأويلات. ويؤكد هذا المعنى أصوات مادة "حسن"، فأصوات (الحاء) و(السين) و(النون) بانفتاحها وترقيقها[١] تحاكي معنى الحسن الذي ترقُّ له القلوب وتستحسنه العيون، مع شمول معناه لكل ما يجب له الإحسان من إنسان أو حيوان وغيرهما، وهذا ما يؤكِّده المقطع المفتوح الذي ختمت به الكلمة (نِ – ص ح)، ورخاوة[٢] وهمس[٣] صوتي (الحاء والسين)، كما يحاكيا معنى التفضل والإنعام الذي تلين له النفوس وتألفه، وجهر (النون) ممَّا يحاكي ظهور أثره على المُحْسَنِ إليه.
- ودخول الألف واللام على الكلمة لاستغراق الجنس، حيث لم يذكر – سبحانه– متعلقات الإحسان ليعُمَّ الأمر جميع ما يجب إحسانه وإتقانه من أقوال وأعمال، وجميع ما ينبغي أن تحسن إليه من إنسان أو حيوان وغيرهما[٤]، "فالإحسان

---

(١) الترقيق هو: "أثر الصوت في السمع مرققًا". ينظر: دراسات في علم الأصوات اللغوية: (ص ١٣٨).

(٢) الصوت الرخو هو صوت احتكاكي، ومن صفات الأصوات الاحتكاكية أنها "أصوات متمادة، بمعنى أنه يمكن الاستمرار في نطقها ما أسعف النفس". علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران، (ص١٣٩)، دار الفكر العربي، ط:٢، ١٩٩٧م.

(٣) الحرف المهموس: حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس. ينظر: الكتاب (٤٣٤/٤). وأوضح د.عبد الغفار هلال أن جري النفس مع الصوت معناه: "أن الهواء وجد الطريق متسعًا لخروجه، وهذا فيما يبدو نتيجة ابتعاد الوترين الصوتيين عن بعضهما، فلا يؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز، ومن ثمَّ تضعف قوَّة بروز الحرف ممَّا يجعله مهموسًا". أصوات اللغة العربية: د. عبد الغفار هلال، (ص ١٤٠)، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ط: ١٩٩٦م.

(٤) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، (٢٢٠/٨)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: ١، ١٩٩٨م.

أوسع مدلولًا من العدل: لأنَّه إذا كان العدل معناه: أن تعطى كل ذي حق حقه، بدون إفراط أو تفريط، فإن الإحسان يندرج تحته أن تضيف إلى ذلك: العفو عمن أساء إليك، والصلة لمن قطعك، والعطاء لمن حرمك"(١). وكلها معان اجتماعية، تقود إلى مجتمع فاضل، يسوده الأمن والعدل والسلام، ويحيا أبناؤه في استقرار وطمئنينة، تؤدي بهم إلى الرقي والتقدم الحضاري.

- إن كان الخطاب القرآني قدَّم ذكر (العدل) على (الإحسان)؛ لأنَّ (العدل) كله واجب، بينما (الإحسان) واجب ومندوب، والواجب أولى؛ لقول الرسول ﷺ في الحديث القدسي: "..وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، .."(٢).
- فإن تأخير "الإحسان" عن "العدل" له دلالته؛ وانعكاساته على العلاقات الإنسانية إذ "يلطف من حدة العدل الصارم الجازم، ويدع الباب مفتوحًا لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إيثارًا لود القلوب، وشفاء لغلّ الصدور، ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوي جرحًا أو يكسب فضلًا"(٣).
- كما أنَّه إذا أحسن الإنسان في كلامه أو في معاملاته "قويت روابط الألفة، وتمكنت أسباب المحبة، وامتدَّ رواق السلام بين الأفراد والعشائر والأمم، وتقاربت العقول والقلوب بالتفاهم، وتشابكت الأيدي على التعاون والتآزر، وجنى العالم من وراء ذلك الأمن واطراد العمران"(٤).

الأمر الثالث: "إيتاء ذي القربى": قال – تعالى- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾.

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: (٨/٢٢٠).
(٢) صحيح البخاري: (كتاب الرقاق) (باب التواضع) رقم (٦٥٠٢).
(٣) في ظلال القرآن: (٤/٢١٩٠).
(٤) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: (ص١١٣).

الإيتاء مصدر آتى، ومعناه الإعطاء، يقول ابن منظور: "والإِيتاءُ: الإِعْطاء. آتَى يُؤَاتِي إِيتَاءً وآتاهُ إِيتاءً أَي أَعطاه. ويُقَالُ: لِفُلَانٍ أَتْوٌ أَي عَطاء. وآتَاه الشَّيْءَ أَي أَعطاه إِيَّاه"(١).

- والمراد بقوله: ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي إعطاء الأقارب حقَّهم من الصلة والبرِّ، وهذا داخل في العدل أو الإحسان وصُرِّح به اهتمامًا بشأنه، ولأنَّ حقَّهم آكد، فإنَّ الرَّحم قد اشتق الله اسمها من اسمه، وجعل صلتها من صلته وقطيعتها من قطيعته، فهو من باب عطف الخاص على العام(٢).
- ويوضِّح ذلك الخطيب، إذ يقول: "هو عدل وإحسان معًا.. والإيتاء هو الإعطاء، وفعله آتى، بمعنى أعطى.. ولا يستعمل الإيتاء إلا فى مقام البرّ والإحسان.. والبرّ بذي القربى هو عدل، لأنَّه وفاء لحق القرابة، وهو إحسان إذا قدمته النفس فى سماحة ورضى"(٣).
- والظاهر أنَّ المراد بذي القربى ما يعمُّ سائر الأقارب سواء كانوا من جهة الأم أو من جهة الأب، وهذا هو المراد بذوي الأرحام الذين حثَّ الشارع ﷺ على صلتهم على الأصح(٤).
- ويؤكِّد معنى الإعطاء وهو خروج المُعْطَى إلى المُعْطَى إليه دون توقف أو انقطاع، أصوات المصدر (إيتاء)، فصوت الهمزة الممدودة في أوله، والتاء الممدودة في أخره يحاكيا معنى الاستمرار في العطاء بأنواعه – سواء أكان عطاء معنوي أم مادي–، وشموله لسائر الأقارب من الجهتين، جهة الأب وجهة الأم.

---

(١) لسان العرب: (أ ت ي) (١٤/١٧).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: (١٤/٢٥٦)، وفتح القدير: (٣/ ٢٢٥).
(٣) التفسير القرآني للقرآن: (٧/٣٥٠).
(٤) التحرير والتنوير: (١٤/٢٥٦).

- ويربط الإمام الطاهر بن عاشور بين تخصيص هذا الأمر بالذكر وبين الواقع الاجتماعي وقت نزول الآية الكريمة، فيقول: "وخصَّ الله بالذكر من جنس أنواع العدل والإحسان نوعًا مهما يكثر أن يغفل الناس عنه ويتهاونوا بحقِّه أو بفضله، وهو إيتاء ذي القربى فقد تقرر في نفوس الناس الاعتناء باجتلاب الأبعد واتقاء شرّه، كما تقرَّر في نفوسهم الغفلة عن القريب والاطمئنان من جانبه وتعود التساهل في حقوقه؛ ولأجل ذلك كثر أن يأخذوا أموال الأيتام من مواليهم، قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ [سورة النساء: ٢]، وقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [سورة الإسراء: ٢٦] ، وقال: ﴿وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [سورة النساء: ١٢٧] الآية؛ ولأجل ذلك صرفوا معظم إحسانهم إلى الأبعدين لاجتلاب المحمدة وحسن الذكر بين الناس، ولم يزل هذا الخلق متفشيًا في الناس حتى في الإسلام إلى الآن ولا يكترثون بالأقربين.

وقد كانوا في الجاهلية يقصدون بوصايا أموالهم أصحابهم من وجوه القوم، ولذلك قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٠] . فخصَّ الله بالذكر من بين جنس العدل وجنس الإحسان إيتاء المال إلى ذي القربى تنبيهًا للمؤمنين يومئذ بأنَّ القريب أحقّ بالإنصاف من غيره، وأحقّ بالإحسان من غيره؛ لأنَّه محل الغفلة، ولأنَّ مصلحته أجدى من مصلحة أنواع كثيرة"(١).

- راعى المولى – جلَّ في علاه– هذا الترتيب والتدرج بين الأوامر الثلاثة؛ فقدَم أشملها وأقسطها وهو (العدل) الشامل الجامع الذي به قامت السماوات والأرض، ثمَّ تلاه الإحسان وهو الإخلاص الذي به يتحقَق العدل، ويسود بأسلوب مرضي ومقبول، ومن أخصِّ صور ذلك بل أهمّها على الإطلاق،

(١) التحرير والتنوير: (٢٥٦/١٤).

إعطاء ذي القربى؛ لأنَّ حقوقهم أوكد وصلتهم أوجب، لتأكيد حق الرحم التي اشتق الله اسمها من اسمه، وجعل صلتها من صلته، فقال في الصحيح: "أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ"(١). ولا سيما إذا كانوا فقراء.

- تلك هي الأوامر الثلاث التي أمر الله بها في الآية الكريمة، والتي بها صلاح وقيام المجتمع البشري، وننتقل إلى دراسة النواهي الثلاث التي نهى الله عنها في بقية الآية.

المطلب الثاني: التحليل اللغوي لخطاب النهي عن الفحشاء والمنكر والبغي:

قال الله – تعالى –: ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

التحليل اللغوي للآية:

- عطف المولى – سبحانه– جملة النهي على ما قبلها للاهتمام بشأن ما حوته، وللتنبيه على ما تلقيه من نواه؛ ليتلقَّاها السامع بالطاعة والقبول. وذكر ينهى دون أن يقال: واجتنبوا الفحشاء، للتشويق(٢)، ولتعظيم المنهي عنه والتنبيه عليه، كأنَّه يقول له: (لا تفعل كذا) وهو نهي فاحذر أن تعصيه(٣).
- ويؤكِّد ذلك صوتيًا: صوت (الياء) بجهره وانفتاحه، وصوت الهاء ببعد مخرجه، إضافة إلى الصائت الطويل في آخر الفعل، ممَّا يتناسب ومعنى

---

(١) ينظر: صحيح البخاري: (كتاب تفسير القرآن) (باب ("وتقطعوا أرحامكم" [محمد:٢٢]) رقم (٤٨٣٠)، وصحيح مسلم: (كتاب البر والصلة والآداب) (باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها) رقم (٢٥٥٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: (٢٥٤/١٤).

(٣) ينظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي، (ص ٢٩٦)، الأردن، عمان، ط: ٢٠٠٣م.

الابتعاد عن هذه المنهيات، وصوت النون بتوسطه، وما يمتاز به من الوضوح السمعي- إذ تشبه أصوات التوسط الحركات في وضوحها السمعي وحرية مرور الهواء معها مع اختلاف مواضع النطق فيما بينها-، إضافة إلى جهره، فكلُّ ذلك يتناسب ومقام التنبيه والتوجيه، كما يحُثُّ المخاطبين على الالتزام بالمنهي عنه وتعظيمه.

- وحذف المفعول في قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾، أي لم يأت النص "ينهكم" أو "ينههم"؛ للدلالة على العمول؛ ليشمل كل مخاطب.

وكذلك حذف المفعول لتوجيه الانتباه إلى الفعل والفاعل، وترك الانشغال بالمفعول.

وأَوَّلُ ما نهى الله – عزَّ وجلَّ- عنه "الفحشاء": ﴿**وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ**﴾: الفُحْشُ والفَحْشَاءُ والفَاحِشَةُ: كُلُّ قَبِيحٍ جَاوَزَ الحَدَّ، ولمْ يُوافِق الحَقَّ، يقول الخليل بن أحمد: "الفُحْشُ: مَعرُوف، والفَحْشاءُ: اسمٌ للفاحِشة. وأفحَشَ في القَوْل والعَمَل وكلِّ أمر لم يُوافق الحَقَّ فهو فاحِشةٌ."(١).

- ويقول ابن فارس: "الْفَاءُ وَالْحَاءُ وَالشِّينُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى قُبْحٍ فِي شَيْءٍ وَشَنَاعَةٍ. مِنْ ذَلِكَ الْفُحْشُ وَالْفَحْشَاءُ وَالْفَاحِشَةُ. يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ قَدْرَهُ فَهُوَ فَاحِشٌ ؛ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِيمَا يُتَكَرَّهُ. وَأَفْحَشَ الرَّجُلُ: قَالَ الْفُحْشَ: وَفَحَشَ، وَهُوَ فَحَّاشٌ. وَيَقُولُونَ: الْفَاحِشُ: الْبَخِيلُ، وَهَذَا عَلَى الِاتِّسَاعِ، وَالْبُخْلُ أَقْبَحُ خِصَالِ الْمَرْءِ"(٢).

- وحدَّد د. محمد حسن جبل المعنى المحوري لمادة (ف ح ش)، فقال: "صدور ما يفشو استقباحه أو حدّة وقعه على الحسّ من قول أو فعل: كالبذاء المتعمَّد المتزيّد، وكدم البراغيث المنتشر، وكالصورة المستقبحة للشيء. ومن هذا دل على ما هو

(١) العين: (ف ح ش) (٩٦/٣).
(٢) مقاييس اللغة: (ف ح ش) (٤٧٨/٤).

حادّ الوقع على النفس شائع الاستقباح لدى الناس، كالزنى:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾[الإسراء: ٣٢]، واللواط ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ الْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٠]"(١).

- ولم تخرج أقوال أكثر المفسرين عن هذا المعني اللغوي للكلمة، إلا أن بعضهم نقل عن ابن عباس تفسيره لها بالزنا(٢)، وفي رواية أخرى عنه تفسيره لها بالبخل عن حقوق الله(٣)، وهذان التأويلان في حقيقتهما داخلان في معنى الفحش وشدَّة القبح، ولعلَّه تمثيل لا تخصيص(٤).

- قال الشنقيطي: "والفحشاء في لغة العرب: الخصلة المتناهية في القبح. ومنه قيل لشديد البخل: فاحش؛ كما في قول طرفة في معلقته:

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفِي ... عَقِيلَةَ مَـالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ(٥)"(٦).

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: (١٦٣٧/٣).

(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: الجامع لأحكام القرآن: (١٦٧/١٠)، ونظم الدرر: (٢٣٨/١١).

(٣) ينظر: التفسير البسيط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، (١٣/ ١٧٤)، تح: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثمَّ قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: ١، ١٤٣٠هـ.

(٤) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (٤٥٥/٧)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١: ١٤١٥هـ.

(٥) البيت من بحر الطويل، ديوان طرفة بن العبد: طَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي، (ص ٢٦)، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط: ٣، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م، يعتام: يختار، الفاحش المتشدد: الشديد البخل، يَصْطفي أي يأْخذ صَفْوته وَهِيَ خِيارُه. وعَقِيلةُ الْمَال: أَكرمُه وأَنفسُه، والعقيلة: وهي المرأة الكريمة ذات الحسب، ينظر: لسان العرب: (ع ي م) (١٢/ ٤٣٣)، (ف ح ش) (٣٢٦/٦)، (ص ف و) (١٤/ ٤٦٣)، (ع ق ل) (١١/ ٤٦٣).

(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (٤٣٨/٢).

- ودخول الألف واللام لاستغراق الجنس، أي جميع جنس الفواحش الظاهر منها والباطن، قولًا كانت أو فعلًا، وكلّ شيء فيه قبح وشناعة.
- وبتأمل التركيب الصوتي للكلمة، تجد عدَّة عوامل صوتية تضافرت؛ لتحاكي معناها اللغوي، وهي:

١) صوت الفاء برخاوته، وذلاقته[١]، والحفيف الذي ينتج عنه بخروج الهواء خارج الفم، من خلال التقاء الأسنان العليا بباطن الشفه السفلى، يحاكي معنى الخروج عن الحقِّ وتجاوز الحد، حيث يتكون صوت الفاء "بدفع الهواء بقوَّة بين المضيق المعترض بالتقاء الثنايا العليا بباطن الشفه السفلى، ويوجِّهه وضع الشفه العليا بالنسبة له، ويُلحظ الشعور بدفع الهواء إلى الخارج، وهذا يؤكِّد التعبير عن معنى الطرد والإبعاد"[٢].

٢)صوت (الحاء) ببعد مخرجه، يحاكي معنى التجاوز والبعد عن الحقِّ، ومخالفته.

٣)صوت (الشين) بتفشيه[٣]، وانتشار هواء الصوت عند خروجه، يحاكي عظم قبحه وبغضه، واشتماله لكل فحش، قال السمين الحلبي: "وتوسع فيه حتى صار يعبر به عن كل مستقبح معنى كان أو عيناً"[٤].

---

(١) سُمِّيت الحروف المُذْلقة بذلك إذ هي من طرف اللسان وهو ذَلِقَهُ، وما يليه من الشفتين، وهي أخفُّ الحروف على اللسان وأحسنها انشرحًا، وأكثرها امتزاجًا بغيرها، وهي ستة أحرف جمعت في قولك: (فَرَّ من لُبِّ). ينظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: للإمام العلامة/ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، (ص١٣٦)، تح: د.أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، عمان، ط:٣، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: (٣٥/١).

(٣) معنى التفشي: "هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النُّطق بها". ينظر: الرِّعاية: مكي بن أبي طالب (ص ١٣٤، ١٣٥).

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: (٢٢٥/٢).

٤) همس الأصوات الثلاثة، وانفتاحها، واستفالها[١]، يحاكي ضعف الوازع الديني والأخلاقي لدي المتفحش، ممَّا يجرِّئُهُ على الاستخفاف بالمحظور، كما يحاكي إسقاطه وانكساره أمام الناس.

٥) مجيء أوَّل الكلمة على مقطع متوسط مغلق (فَحـْ= ص ح ص)، والغلق يناسب التخفي الذي يلجأ إليه فاعل الفاحشة أوَّل الأمر؛ لشناعة صنيعه، ورفضه من الأسوياء.

٦) وتنتهي الكلمة بمقطعين مفتوحين، الأول متوسط (شَا= ص ح ح)، والثاني قصير(ءِ= ص ح)، فهما يناسبان امتداد أثر الفعل المتفحش؛ لعظم قبحه وصعوبة زواله.

- ويربط الإمام الطاهر بن عاشور بين معنييه اللغوي، والاجتماعي، فيقول: "فأمَّا الفحشاء: فاسم جامع لكل عمل أو قول تستفظعه النفوس لفساده من الآثام التي تفسد نفس المرء: من اعتقاد باطل أو عمل مفسد للخلق، والتي تضر بأفراد الناس بحيث تلقي فيهم الفساد من قتل أو سرقة أو قذف أو غصب مال، أو تضرّ بحال المجتمع وتدخل عليه الاضطراب من حرابة أو زنا أو تقامر أو شرب خمر. فدخل في الفحشاء كل ما يوجب اختلال المناسب الضروري، وقد سمَّاها الله الفواحش"[٢].
- وبالرجوع إلى النص القرآني تجد نماذج للفواحش، مثل الزنا، واللواط، وشرب الخمر، وغيرها من أمراض القلوب كالرياء والحسد والنفاق.

---

(١) الأصوت المستفلة: هي التي لا يرتفع أقصى اللسان عند النطق بها إلى أقصى الحنك، وهي ما عدا حروف الاستعلاء (الخاء- الغين- الطاء- الظاء- الصاد- الضاد- القاف). ينظر: دراسات في علم الصوتيات: (ص ١٤٨).

(٢) التحرير والتنوير: (٢٥٧/١٤).

ولاشك أنَّ هذه الفواحش وغيرها كفيلة بتدمير الفرد والمجتمع دينيًا وأخلاقيًا وصحيًا واقتصاديًا، وهدمه رأسًا على عقب.

النهي الثاني: المُنْكَر: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾:

وهو مَا يَدُلُّ على خلاف المعرفة التي يَسْكُنُ إليها القَلْبُ، قال ابن فارس: "النُّونُ وَالْكَافُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلافِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي يَسْكُنُ إِلَيْهَا الْقَلْبُ. وَنَكِرَ الشَّيْءَ وَأَنْكَرَهُ: لَمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُهُ وَلَمْ يَعْتَرِفْ بِهِ لِسَانُهُ. قال:

وَأَنْكَرَتْنِـــي وَمَا كَانَ الّذِي نَكِرَتْ مِنَ الحوَادِثِ إِلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا(١)

وَالْبَابُ كُلُّهُ رَاجِعٌ إِلَى هَذَا. فَالنُّكْرُ: الدَّهْيُ. وَالنَّكْرَاءُ: الأَمْرُ الصَّعْبُ الشَّدِيدُ. وَنَكُرَ الأَمْرُ نَكَارَةً. وَالإِنْكَارُ: خِلافُ الاعْتِرَافِ. وَالتَّنَكُّرُ: التَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ تَسُرُّ إِلَى أُخْرَى تُكْرَهُ"(٢).

- وبتتبع أقوال المفسرين حول معناه، تجد أنها لا تحرج في حقيقتها عن هذا المعنى اللغوي، وإنما أقوالهم تعدُّ من باب التمثيل لصور الإنكار، ويؤيّد ذلك قول الطاهر بن عاشور: "وأمَّا المنكر فهو ما تستنكره النفوس المعتدلة وتكرهه الشريعة من فعل أو قول، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [سورة المجادلة/ ٢]، وقال: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [سورة العنكبوت/ ٢٩]. والاستنكار مراتب، منها مرتبة الحرام، ومنها مرتبة المكروه فإنه منهي عنه. وشمل المنكر كل ما يفضي إلى الإخلال بالمناسب الحاجي، وكذلك ما يعطل المناسب التحسيني بدون ما يفضي منه إلى ضر"(٣).

---

(١) بحر البسيط، ديوان الأعشى الكبير: ميمون بن قيس، (ص ١٠١)، تح: محمد حسين، (د. ط) (د. ت) .

(٢) مقاييس اللغة: (ن ك ر) (٤٧٦/٥).

(٣) التحرير والتنوير: (٢٥٧/١٤).

- وقال السمعاني: "والمنكر: كل ما أنكره الشرع"[١].

- فالمنكر لفظ عام يعمُّ كلَّ ما أنكره الشرع من معاصٍ وآثام، والألف واللام لاستغراق الجنس، أي يعمُّ جميع جنس المنكرات، أي جميع الأقوال والأفعال المحرمة والمنهي عنها.

سواء أكانت تتعلق بحقِّ الله كالشرك، أم بحقِّ الفرد على نفسه كارتكابه المعاصي والآثام، أو على غيره كالتعدِّي على الآخرين وهضم حقوقهم.

- وبناء على ما سبق فالفحشاء خاص بما اشتدَّ نكره من المعاصي، والمنكر عام في كلِّ المعاصي والرذائل سواء اشتدَّ قبحه أم لا، وسواء تعدَّى ضرره إلى الغير أم لا، وسواء كان محرَّمًا في الشريعة أو مكروهًا، وبهذا يكون عطف المنكر على الفحشاء من باب عطف العام على الخاص[٢].

- وزيادة في تأييد ذلك المعني، تركيبه الصوتي المعجز، والذي يلاحظ فيه ما يأتي:

١) صوت (الميم)، الذي يخرج من انطباق الشفتين، حيث ينغلق مجرى الهواء، ليسمح له بالخروج من الممر الأنفي، فهذا الغلق الذي يصاحبه صعوبة في خروج الهواء ممَّا يحاكي معنى الإنكار، والذي يفيد صعوبة التعرف على ما هو منكر، والجهل به واستنكاره.

---

(١) تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني، (٢٥٧/١٤)، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط: ١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

(٢) الأسس الأرسخ والبناء الشامخ الأبي للممالك الإنسانية وكمالها الحضاري (من خلال آية واحدة من النص القرآني) في سورة النحل:٩٠، للباحث/ محمد عبد العزيز عبد النظير علي، حولية كلية اللغة العربية، بنين جرجا، ج (٧)، العدد (١٩)، للعام ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

٢) صوت (النون) الذي يخرج من التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، يحاكي –أيضًا– ذلك المعنى.

٣) الجهر الذي يلازم أصوات (الميم) و (النون) و (الراء)، يحاكي ظهور قبحه واستنكاره في النفوس.

٤) صوت (الكاف) ببعد مخرجه، وانفجاره، وشدَّته، يحاكي معنى الاستنكار، وشدَّة البغض لذلك المستنكر، الذي لم تألفه القلوب، ولم تعترف به الألسنة.

٥) الهمس في (الكاف)، والاستفال في باقي الأصوات، يحاكي ضعف الوازع الديني والأخلاقي لدى فاعل المنكر، وتجرُّئه على إتيانه على الرغم من قبحه، وعدم قبوله من قبل الأسوياء.

٦) التوسط في أصوات (الميم والنون والراء) يحاكي رفضه من أصحاب النفوس المعتدلة.

٧) التكرار[١] في (الراء) يحاكي تأكيد رفضه واستنكاره من أصحاب الفطرة السليمة.

٨) التنوع في صفات أصوات الكلمة بين الشدَّة والتوسط والجهر والهمس، ممَّا يحاكي التنوع والتدرج في درجة قبح المنكر، واشتماله لكل أنواع المنكرات على اختلافها جملة وتفصيلًا.

٩) مجيء أول الكلمة على مقطع متوسط مغلق (مُنْ= ص ح ص)، يحاكي أول الأمر حيث يجهل المرء ذلك المنكر، ولا يـــعترف به، ونهايتها بمقطعين مفتوحين (كَـــ= ص ح + رِ= ص ح) يحاكي الانفتاح والاعتياد على فعله، وكأنَّه يعرفه من قبل.

---

(١) معنى تكرارها هو: "ارتعادُ طرف اللسان بالراء، مكرِّرًا لها". ينظر: الرعاية: (ص ١٩٦).

النهي الثالث: البغي، ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾: وهو – هنا– التعدِّي والاستطالة والظلم، وكلٌّ مجاوزة في الحدِّ وإفراط على المقدار الذى هو حدُّ الشيء، قال الجوهري: "البَغْيُ: التعدِّي. وبَغَى الرَّجل على الرَّجل: استطال. وبَغَتِ السماءُ: اشتدَّ مطرها، حكاها أبو عبيد. وبغى الجرح: وَرم وترامى إلى فساد. وبَغى الوالي: ظلم. وكلٌّ مجاوزة في الحدِّ وإفراط على المقدار الذى هو حدّ الشئ، فهو بَغْي"(١).

- وقال الراغب الأصفهاني: "البَغْي: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرّى، تجاوزه أم لم يتجاوزه، فتارة يعتبر في القدر الذي هو الكمية، وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية، يقال: بَغَيْتُ الشيء: إذا طلبت أكثر ما يجب، وابْتَغَيْتُ كذلك، قال الله –عزّ وجل–: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة/ ٤٨].

والبَغْيُ على ضربين: أحدهما محمود، وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، والفرض إلى التطوع. والثاني مذموم، وهو تجاوز الحقِّ إلى الباطل، أو تجاوزه إلى الشّبه. ولأنّ البغي قد يكون محمودًا ومذمومًا، قال تعالى: [إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ] [الشورى/ ٤٢] ، فخصّ العقوبة ببغيه بغير الحقِّ"(٢).

- **وقد ورد فى القرآن لفظ البغي على خمسة أوجه:**

الأوّل: بمعنى الظُّلم، ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾ [النحل/٩٠]، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ﴾ [الأعراف/٣٣].

---

(١) تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ب غ ي) (٦/٢٢٨١)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: ٤، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٢) المفردات في غريب القرآن (ب غ ي) (ص ١٣٦، ١٣٧).

الثانى: بمعنى المعصية، والزلَّة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس/٢٣]، ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ] [يونس/٢٣] أي يعصون.

الثالث: بمعنى الحَسَد: ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ][البقرة/٢١٣﴾ [١] أي حسدًا.

الرَّابع: بمعنى الزِّنى: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾ .

الخامس: بمعنى الطلب: ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ أَى يطلبون لها اعوجاجًا[٢].

- البغي في أكثر المواضع مذموم، والمعنى الأول هو المراد – هنا– وهو ما ذكره اللغويون، وموافق – أيضًا– لما ذكره المفسرون، نذكر منهم ما حكاه الإمام الطبري: "البغي: عُنِيَ بالبغي في هذا الموضع: الكبر والظلم. وأصل البغي: التعدّي ومجاوزة القدر والحدّ من كلّ شيء"[٣]. وبتأمل أصوات تلك الكلمة وترتيبها المعجز، يلاحظ أنَّ:

١) صوت (الباء) بشدَّته وجهره في أول الكلمة يوائم معنى التعدِّي والظلم والاستطالة.

٢) وصوت (الغين) باستعلائه في وسط الكلمة يوائم معنى الاستطالة، واستعلاء الظالم بظلمه على من يظلمه، وتمكنه من ذلك.

٣) وصوت (الياء) بجهره وانفتاحه في نهاية الكلمة يوائم –أيضًا– معنى التعدِّي والاستطالة، وشموله لكلِّ ما يقع عليه البغي، واستفاله وترقيقه يوضح استسلام المَبْغِي عليه وخضوعه لمن بغى عليه.

---

(١) ووردت في سورة آل عمران الآية (١٩)، وسورة الشورى الآية (١٤)، وسورة الجاثية الآية (١٧).

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (٢/٢٦٢، ٢٦٣)، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د. ت).

(٣) جامع البيان: (١٧/٢٨٠).

٤) يضاف إلى ما سبق أنَّ الكلمة تتكون من مقطعين، الأول منهما مقطع متوسط مغلق (بَغْـــ= ص ح ص) وهذا ما يحاكي معنى (البغي) حيث يكون الباغي متمكن من ظلمه وتعدِّيه على غيره، وأن المظلوم في قبضته وتحت سيطرته، والمقطع الثاني المفتوح (يَـــ= ص ح) يحاكي استطالة الباغي واستمراره في التعدِّي والظلم لغيره.

- ولم يذكر متعلقات البغي؛ ليعمَّ جميع ما يبغي فيه[1]، وهو داخل في المنكر، ونبه عليه اهتمامًا باجتنابه؛ وذلك لشدة ضرره، وسدًا لذريعة وقوعه، ولفشوه بين الناس، فعطفه عليه من باب عطف الخاص على العام.
- وهذا ما قاله ابن عاشور، وربطه بالواقع المجتمعي الذي كان عليه العرب قبل الإسلام، ونص كلامه: "وخصَّ الله بالذكر نوعًا من الفحشاء والمنكر، وهو البغي اهتمامًا بالنهي عنه وسدًا لذريعة وقوعه؛ لأنَّ النفوس تنساق إليه بدافع الغضب وتغفل عما يشمله من النهي من عموم الفحشاء بسبب فشوه بين الناس وذلك أن العرب كانوا أهل بأس وشجاعة وإباء، فكانوا يكثر فيهم البغي على الغير إذا لقي المعجب بنفسه من أحد شيئًا يكرهه أو معاملة يعدُّها هضيمة وتقصيرًا في تعظيمه. وبذلك كان يختلط على مريد البغي حسن الذَّبِّ عمَّا يسميه الشرف وقبح مجاوزة حدّ الجزاء.

فالبغي هو الاعتداء في المعاملة، إمَّا بدون مقابلة ذنب كالغارة التي كانت وسيلة كسب في الجاهلية، وإمَّا بمجاوزة الحدِّ في مقابلة الذنب كالإفراط في المؤاخذة، ولذا قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٤] . وقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ

(١) الدر المصون: (٢٨٠/٧).

عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثمَّ بغي عليه لينصرنه الله [سورة الحج: ٦٠]"(١).

- والبغي أخو قطيعة الرحم ومشارك لها في تعجيل العقوبة «ما من ذنب أحرى أن يعجل الله العقوبة لصاحبه في الدنيا، مع ما يدخر له في الآخرة، من البغي، وقطيعة الرحم»(٢).
- ويوضح الإمام الواحدي العلَّة من ذكر تلك المنهيات الثلاث مجتمعة، فيقول:"إنَّما جمعت الأوصاف الثلاثة للبيان عن تفصيل المنهي عنه؛ فالفحشاء قد تكون بما يفعله الإنسان ممَّا لا يظهر أمره وهو ممَّا يعظم قبحه، والمنكر: ما يظهر للناس ممَّا يجب إنكاره، والبغي: ما يتطاول به من الظلم لغيره، ولا يكون إلا من الفاعل على غيره، والظلم قد يكون ظلم الفاعل لنفسه"(٣).
- فهذه المنهيات الثلاث التي جمعت كلَّ ما فيه الشَّرِّ للبشرية جمعاء، ممَّا يلزم عليهم الابتعاد عنها؛ لما يرتب عليها من أثار جسيمة على الفرد والمجتمع بأسره، فهي كفيلة بتدمير المجتمع وهلاكه؛ ومن ثمَّ علينا الأخذ بما يضمن للمجتمع وأفراده السلامة والتقدم والازدهار – كما بيَّنت الآيات– من العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، فتحيا البشرية في خير وأمن ووئام، فتؤدِّي حقَّ ربِّها الذي خلقت من أجله، وحقَّ نفسها في الحفاظ عليها، وحقَّ غيرها في الأمن والوئام، وحقَّ مجتمعاتها في العمارة والبنيان والتقدم والرقي.

ختام الآية الكريمة:

- ثمَّ ختم المولى – سبحانه– الآية بهذا الخطاب الرائع، فقال تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

---

(١) التحرير والتنوير: (٢٥٨/١٤).
(٢) مسند أحمد: رقم (٢٠٣٩٨) (٤٠/٣٤).
(٣) التفسير البسيط: (١٧٥/١٣).

- الوعظ: "النُصْحُ والتذكيرُ بالعَواقِبِ"(١)، قال الخليل: "وَهُوَ تَذْكِيرُكَ إِيَّاهُ الْخَيْر ونَحْوه مِمَّا يَرِقُّ لَهُ قَلْبُهُ"(٢).

وقال ابن فارس: "الْوَاوُ وَالْعَيْنُ وَالظَّاءُ: كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ. فَالْوَعْظُ: التَّخْوِيفُ. وَالْعِظَةُ الاسْمُ مِنْهُ"(٣).

- وإلى معنى النصح والتذكير ذهب كثير من المفسرين، قال الطاهر بن عاشور: "والوعظ: كلام يقصد منه إبعاد المخاطب به عن الفساد وتحريضه على الصلاح"(٤).
- يتبين ممَّا سبق أنَّ الوعظ هو: النصح والتذكير بكلام يشتمل على الترغيب والترهيب؛ لحمل المخاطب على الطاعة والالتزام بأوامر الله والبعد عن نواهيه – تعالى.
- وقد جاء الوعظ في الآية الكريمة – هنا– بأوامر الله ونواهيه.
- قال الإمام السمرقندي: "ثمَّ قال تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ أي: يأمركم وينهاكم عن هذه الأَشياء التي ذكرها الله في الآية"(٥).

وقال الإمام ابن كثير: "وقوله: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ أي يأمركم بما يأمركم به من الخير وينهاكم عما ينهاكم عنه من الشر"(٦).

---

(١) الصحاح: (و ع ظ) (١١٨١/٣).

(٢) العين: (و ع ظ) (٢٢٨/٢).

(٣) مقاييس اللغة: (و ع ظ) (١٢٦/٦).

(٤) التحرير والتنوير: (٢٦٠/١٤).

(٥) بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (٢٨٨/٢)، (د. ط) (د. ت).

(٦) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدمشقي، (٥١١/٤)، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط: ١، ١٤١٩هـ.

- فإن قيل: إن الوعظ يكون بالترغيب والترهيب ونحو ذلك من الكلام الذي تلين له القلوب، لا بالأمر والنهي؟

فالجواب كما قال الإمام الشنقيطي إن: "ضابط الوعظ: هو الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم ونواهيه؛ فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله، وطمعوا فيما عند الله من الثواب في امتثاله. وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب في اجتنابه؛ فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال، فلانت قلوبهم للطاعة خوفًا وطمعًا"(١).

- وبتأمل التركيب الصوتي للكلمة، تجد أنها ناطقة بتلك المعاني التي ذكرها هؤلاء اللغويون، حيث رتبت أصواتها على سمت معانيها، فـ(الواو) في أولها صوت رخو مرقق مستفل، و(العين) في وسطها-أيضًا- صوت رخو مرقق مستفل، فكلاهما يوائمان أول الوعظ، حيث يكون فيه لين في النصح والتذكير، وختمت الكلمة بصوت (الظاء)، وهو صوت مجهور مطبق مستعل مفخم، وهذه كلُّها صفات قوَّة، بالإضافة إلى الجهر في الصوتين الأخرين، ممَّا يوائم وضوح معناها من التذكير بالخير والتخويف من العواقب، وهذا ما تؤكِّده مقاطع الكلمة، فكلُّها مقاطع قصيرة مفتوحة (يَـــــ= ص ح+ عِـــ= ص ح+ ظُ= ص ح).

- ولقد جاء قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بصيغة المضارع؛ لإفادة التجدد والاستمرار، أي يتجدَّد هذا الاتعاظ مع كلِّ تلاوة لهذه الآية الكريمة وفي كلِّ مناسبة، كما أنَّ في إسناد الفعل إلى المولى – جلَّ وعلا- زيادة في التنبيه والاهتمام بما جاءت به الآية من الأوامر والنواهي.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (٤٣٨/٢).

- والتصريح بالمفعول هنا يقتضيه السياق؛ لأنَّ الموعظة فيها تذكير، والتذكير يناسبه القرب؛ وأسلوب الخطاب أدعى للقرب، بخلاف قوله: ﴿يَأْمُرُ﴾ في أول الآية حذف منه المفعول؛ لإفادة العموم-كما سبق بيانه[١].

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾:

قال الخليل: "ويقال: عل أخاك: أي لعلَّ أخاك، وهو حرف يقرب من قضاء الحاجة ويطمع"[٢]. وقال سيبويه: "لَعَلَّ وعَسَى طَمَعٌ وإشفاقٌ"[٣].

- والرجاء بهذا المعنى محال في حقه -تعالى- لأنَّه يستلزم العجز، والعجز نقص يتنافى مع كمال الله وقدرته المطلقة، ومن هنا حاول المفسرون صرفها عن بابها، ولهم في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: يرى أنَّ (لعلَّ) هنا تعليلة، ممَّن قال ذلك ابن جرير الطبري، حيث قال: "يذكركم أيُّها الناس ربكم لتذكروا فتنيبوا إلى أمره ونهيه، وتعرفوا الحقَّ لأهله"[٤].

الثاني: يرى الترجي مجاز عن إرادة الله تعالى أو طلبه أن يتذكروا، ممَّن قال ذلك الرازي، حيث قال: "إن قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لعلَّكم تذكرون ليس المراد منه الترجي والتمني، فإن ذلك محال على الله تعالى، فوجب أن يكون معناه أنَّه تعالى يعظكم لإرادة أن تتذكروا طاعته، وذلك يدلُّ على أنَّه تعالى يريد الإيمان من الكلِّ"[٥].

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: (ص ٣٠٧).
(٢) العين: (ع ل) (٨٩/١).
(٣) الكتاب: (٢٣٣/٤).
(٤) جامع البيان: (٢٨٠/١٧).
(٥) مفاتيح الغيب: (٢٦٢/٢٠).

وقال أبو السعود: "﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ طلبًا لأن تتعظوا بذلك"(١).أي بذلك المأمور به والمنهي عنه.

الثالث: يرى أنَّ (لعلَّ) على بابها، وأنَّ الترجي في حقِّ البشر لا في حقِّ الله تعالى. ممَّن قال ذلك الإمام البقاعي: "﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي ليكون حالكم حال من يرجى تذكره"(٢).

فقد أسند ما ظاهره الإسناد إلى الله – تعالى– إلى البشر على سبيل المجاز.

- فهذه الأقوال الثلاثة محتملة، إلا أنَّ البحث يميل إلى القول الثالث، وهو أنَّ (لعلَّ) على حقيقتها، وأنَّ الرجاء في حقِّهم لا في حقِّه – تعالى–؛ لحاجتهم إلى نيل رضا الله وطاعته في الامتثال بتلك الأوامر والنواهي، هذا والله أعلى وأعلم.

وقوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾:

يراد بالذكر في اللغة الحفظ للشيء تذكره، قال الخليل: "الذِّكْرُ: الحفظ للشيء تَذْكُره، وهو مني على ذِكْرٍ. والذِّكْرُ: جري الشيء على لسانك، تقول جرى منه ذكر. والتَّذَكُّر: طلب ما قد فات"(٣).

- وبإمعان النظر في أصوات الكلمة، تبرز المناسبة الصوتية بينها وبين معناها، حيث إنَ:

١) صوت (الذال) برخاوته، وانفتاحه واستفاله، و(الكاف) بهمسه، وانفتاحه، واستفاله، وصوت (الراء) بانفتاحه، واستفاله، ما يحاكي حالة التذكر من جريان الشيء المراد ذكره على اللسان؛ لحفظه واستذكاره عند طلبه.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (١٣٦/٥)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د. ت).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (٢٣٩/١١).

(٣) العين: (ذ ك ر) (٣٤٦/٥).

٢) الجهر في (الذال) و(الراء)، والشدة في (الكاف)، مع تشديدها، ممَّا يحاكي حالة التذكر من طلب ما قد فات، وما يتطلبه ذلك من هيئة للنفس بها يمكن للإنسان استحضار ذلك المحفوظ.

٣) التكرار في (الراء)، والتشديد في (الكاف) يحاكيان عملية الحفظ للشيء المراد اقتنائه، لمعاودة استحضاره عند طلبه.

٤) المقطع الصوتي يساهم –أيضًا– في محاكاة المعنى، حيث تتكون الكلمة من مقطع قصير مفتوح في أولها (تَ= ص ح)، يليه مقطع متوسط مغلق (ذَكْـ= ص ح ص)، ثمَّ مقطع قصير مفتوح (كَـــ= ص ح)، وختمت بمقطع طويل مغلق بالوقف عليه (رُونْ= ص ح ح ص)، فتنوع المقاطع بين الفتح والغلق يحاكي عملية التذكر من استرسال المخزون المعرفي عند طلبه.

- وقد جاء قوله: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بصيغة المضارع؛ لإفادة التجدد والاستمرار، أي تتذكرون ما أمركم به وما نهاكم عنه ممَّا تضمَّنته الآية الكريمة، كلَّما دعت الحاجة لتذكُّره.
- وهناك وجه آخر محتمل وهو تتذكرون ما أعدَّه من ثواب طاعته وعقاب معصيته[١].

وقوله: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ (تَذَكَّر) على وزن (تَفَعَّل):

وهي تدلُّ على تكلُّف الفعل، أي تكلُّف الذكر[٢]؛ ذلك أنَّ أصل الفعل (تتذكرون). فالله – جلَّ جلاله– يذكِّر عباده بتلك الأوامر والنواهي في كلِّ تعاملاتهم، وفي كلِّ أحوالهم؛ فعلى الإنسان أن يتذكرها؛ كي ينال رضا ربه–جلَّ وعلا–، ويسعد في الدارين.

---

(١) النكت والعيون: (٢٠٩/٣).

(٢) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: أحمد بن محمد الحملاوي، (ص٣٣)، تح: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض، (د. ط) (د. ت).

- والخطاب في قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ للناس جميعًا، كما قال الإمام الطبري: "يذكركم أيها الناس ربكم لتذكروا فتنيبوا إلى أمره ونهيه، وتعرفوا الحقَّ لأهله"(١).

بينما ذكر الإمام الطاهر بن عاشور أنَّ: "الخطاب للمسلمين؛ لأن الموعظة من شأن من هو محتاج للكمال النفساني، ولذلك قارنها بالرجاء بـ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾"(٢).

- وظاهر الآية يرجِّح أنَّ الخطاب للناس جميعًا؛ لأنَّ الوعظ نصح وزجر مقترن بترغيب وترهيب يقصد به إبعاد المخاطب مسلمًا كان أو غير مسلم عن الشر والفساد، والآية مكية وهي ممَّا كان يتلوه النبي ﷺ على الناس عندما كان يدعوهم إلى الإسلام، ويعرفهم به؛ فهي تبين محاسن الإسلام. والأوامر التي أمر الله تعالى بها فيها شملت الإيمان وما يندرج تحته من الأعمال، والنواهي التي نهى الله عنها فيها شملت الكفر وما دونه من الأعمال؛ ومن ثَمَّ فالخطاب للناس جميعًا(٣).
- فالآية الكريمة تدعو إلى محاسن الأعمال ومكارم الأخلاق التي يحتاج إليها المجتمع الإنساني؛ ليرقى إلى المجتمع الفاضل، الذي يقود العالم إلى الرقي والتقدم الحضاري.

فلنا أن نتصور المجتمع الذي يسوده العدل والإحسان كيف يحيا أفراده؟ وعلى النقيض مجتمع يعم فيه الظلم والجور كيف يعيشون؟!.

---

(١) جامع البيان: (٢٨٠/١٧).

(٢) التحرير والتنوير: (٢٦٠/١٤).

(٣) ينظر: بحث بعنوان "الأسس الأرسخ والبناء الشامخ الأبي للممالك الإنسانية وكمالها الحضاري (من خلال آية واحدة من النص القرآني) في سورة النحل: ٩٠: (ص٦٤٧١).

المبحث الثاني
الخطاب الأخلاقي

في قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[النحل].

مناسبة الآية لما قبلها:

قال الإمام البقاعي: " ولما تقررت هذه الجمل التي جمعت – بجمعها للمأمورات والمنهيات ما تضيق عنه الدفاتر والصدور، وشهد لها المعاندون من بلغاء العرب أنها بلغت قاموس البحر وتعالت عن طوق البشر، عطف على ما أفهمه السياق – من نحو: فتذكروا أو فالزموا ما أمرتم به ونابذوا ما نهيتم عنه – بعض ما أجملته، وبدأ بما هو مع جمعه أهم وهو الوفاء بالعهد الذي يفهم منه العلماء بالله ما دل عليه العقل من الحجج القاطعة بالتوحيد وصدق الرسل ووجوب اتباعهم"(١).

المعنى العام للآيتين الكريمتين:

يأمر المولى –تعالى ذكره– فيقول: وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه، وعقده إذا عاقدتموه، فأوجبتم به على أنفسكم حقًا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ يقول: ولا تخالفوا الأمر الذي تعاقدتم فيه الأيمان، يعني بعد ما شددتم الأيمان على أنفسكم، فتحنثوا في أيمانكم وتكذبوا فيها وتنقضوها بعد إبرامها. وقوله: ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا﴾ يقول: وقد

(١) نظم الدرر: (١١/٢٤٠).

جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيًا يرعى الموفي منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض"(١).

ثمَّ ختمت الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ تهديد ووعيد، أي "إنَّ الله أيُّها الناس يعلم ما تفعلون في العهود التي تعاهدون الله من الوفاء بها والأحلاف والأيمان التي تؤكِّدونها على أنفسكم، أتبرّون فيها أم تنقضونها وغير ذلك من أفعالكم، مُحْصٍ ذلك كلَّه عليكم، وهو مسائلكم عنها وعما عملتم فيها، يقول: فاحذروا الله أن تلقوه وقد خالفتم فيها أمره ونهيه، فتستوجبوا بذلك منه ما لا قِبَل لكم به من أليم عقابه"(٢).

ثمَّ ضرب الله – تعالى ذكره– لذلك مثلًا حيث "يقول تعالى – ذكره– ناهيًا عباده عن نقض الأيمان بعد توكيدها، وآمرًا بوفاء العهود، وممثلًا ناقض ذلك بناقضة غزلها من بعد إبرامه وناكثته من بعد إحكامه: ولا تكونوا أيها الناس في نقضكم أيمانكم بعد توكيدها وإعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق ﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾ [النحل: ٩٢] يعني: من بعد إبرام"(٣).

سبب النزول:

اختلف أهل التأويل فيما بينهم فيمن عني بهذه الآية وفيما أنزلت، على أقوال ثلاثة ، هي:

الأول: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ قال: أنزلت هذه الآية في بيعة النبيﷺ، كان من أسلم بايع على الإسلام، فقالوا ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ هذه البَيعة التي بايعتم على الإسلام ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ البيعة، فلا

(١) جامع البيان: (٢٨١/١٧).
(٢) المصدر السابق: (٢٨٣/١٧).
(٣) المصدر السابق: (٢٨٤/١٧).

يحملكم قلة محمد ﷺ وأصحابه وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام، وإن كان فيهم قلة والمشركين فيهم كثرة.

والثاني: قال: نزلت في الحِلْف الذي كان أهل الشرك تحالفوا في الجاهلية، فأمرهم الله -عزّ وجلّ- في الإسلام أن يوفّوا به ولا ينقضوه.

الثالث: قال: هؤلاء قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا وأعطى بعضهم العهد، فجاءهم قوم، فقالوا: نحن أكثر وأعز وأمنع، فانقضوا عهد هؤلاء وارجعوا، إلينا ففعلوا[1].

- ويرى الإمام الطبري أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذ ما يتضح من خلال كلامه، حيث قال: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أمر في هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده، التي يجعلونها على أنفسهم، ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين بعقود تكون بينهم بحقّ ممَّا لا يكرهه الله. وجائز أن تكون نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ بنهيهم عن نقض بيعتهم حذرًا من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين، وأن تكون نزلت في الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم لقلة عددهم في آخرين لكثرة عددهم، وجائز أن تكون في غير ذلك. ولا خبر تَثْبُت به الحجة أنها نزلت في شيء من ذلك دون شيء؛ ولا دلالة في كتاب ولا حجة عقل أيّ ذلك عُنِيَ بها، ولا قول في ذلك أولى بالحقِّ ممَّا قلنا لدلالة ظاهره عليه، وأنَّ الآية كانت قد نزلت لسبب من الأسباب، ويكون الحكم بها عامًّا في كلّ ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه"[2].
- بينما يرى ابن عاشور تخصيص الخطاب للمسلمين، حيث قال: "والمقصود: تحذير الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام من أن ينقضوا عهد الله"[3].

---

(١) جامع البيان: (٢٨١/١٧، ٢٨٢).

(٢) المصدر السابق: (٢٨٢/١٧).

(٣) التحرير والتنوير: (٢٦١/١٤).

- ويبدو لي أنَّ القول بعموم المعنى أولى؛ لأنَّه يشمل من هم حديثو عهد بالإسلام، وغيرهم من عموم الناس؛ و"لأنَّ الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أنَّ العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب"(١)، وهذا أوفق لطبيعة الخطاب القرآني، فهو خطاب عام شامل لعموم الناس في كلِّ زمان ومكان.
- وهذا ما صرَّح به الشوكاني: حيث قال: "وظاهره العموم في كلِّ عهد يقع من الإنسان من غير فرق بين عهد البيعة وغيره، وخصَّ هذا العهد المذكور في هذه الآية بعض المفسرين بالعهد الكائن في بيعة النبي – ﷺ – على الإسلام وهو خلاف ما يفيده العهد المضاف إلى اسم الله سبحانه من العموم الشامل لجميع عهود الله، ولو فرض أن السبب خاص بعهد من العهود لم يكن ذلك موجبًا لقصره على السبب، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"(٢).

التحليل اللغوي لخطاب الوفاء بالعهد، وعدم نقض الأيمان:

قال – تعالى–: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [النحل].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: (ص ٦٤)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(٢) فتح القدير: (٢٢٧/٣)، وينظر: التحرير والتنوير: (٢٦١/١٤).

التحليل اللغوي للآيتين الكريمتين:

- "لمَّا ذكر الله- سبحانه وتعالى- في الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الإجمال، ذكر في هذه الآية بعض ذلك الإجمال على التفصيل فبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد، لأنَّه آكد الحقوق"(١).
- والوفاء بالعهد "فضيلة فردية وهي عنوان كمال النفس، وفضيلة اجتماعية وهي ثقة الناس بعضهم ببعض"(٢). "وإنَّ العهد الذي يأمر الله بالوفاء به هو كلُّ عهد فيه صلاح الناس وانتظام معاشهم ومعادهم، والوفاء بالعهد أمر اعتنى به كتاب الله لما يترتب عنه من نشر الثقة بين الناس ومن تيسير معاملاتهم وانتظامها، لذلك أمر الله عباده بألا تنتقض العهود والمواثيق؛ لأنَّ فيها قوَّة الأمَّة وازدهارها، وقد ذكر كتاب الله"(٣) "أنَّ ذاك النقض مؤدّ إلى انحدار الأمَّة وارتكاسها بعد قوَّتها وتماسكها وقد صوَّر ذلك بزلل القدم وانزلاقها بعد أن كانت ثابتة راسخة(٤)، والزلل الذي يقع للأمَّة هو ترديها إلى حال الضعف بعد القوَّة"(٥).

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، (٣/ ٩٥)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.

(٢) التحرير والتنوير: (١٣٢/٢).

(٣) القيم الأخلاقية في التراث التفسيري: د. عبد القادر الشايط، (ص ١٦٩، ١٧٠).

(٤) ويعبّر عن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل:٩٤].

(٥) الوجيز في تفسير آي الكتاب العزيز: مصطفى بن حمزة، (ص ٢٢٧)/ عن القيم الأخلاقية في التراث التفسيري: (ص ١٦٩، ١٧٠).

قال تعالى: [وَأَوۡفُواْ]:

تدلُّ مادة (و ف ى) في اللغة على الإتمام والكمال، قال ابن فارس: "الْوَاوُ وَالْفَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى إِكْمَالٍ وَإِتْمَامٍ. مِنْهُ الْوَفَاءُ: إِتْمَامُ الْعَهْدِ وَإِكْمَالُ الشَّرْطِ. وَوَفَى: أَوْفَى، فَهُوَ وَفِيٌّ"(١).

- وقال الإمام الراغب: "وَفَى بعهده يَفِي وَفَاءً، وأَوْفَى: إذا تمّم العهد ولم ينقض حفظه، واشتقاق ضدّه، وهو الغدر يدلّ على ذلك وهو التّرك، والقرآن جاء بِأَوْفَى. قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة/ ٤٠]"(٢).

- ولم تخرج أقوال المفسرين في تفسيرها للكلمة عن هذا المعنى اللغوي، يقول السمرقندي: "قوله عز وجل: [وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ] يقول: إذا حلفتم بالله فأتموا له بالفعل.

ويقال: أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ، أي: العهود التي بينكم وبين الله تعالى، والعهود التي بينكم وبين الناس"(٣).

- وهذا ما يؤكِّده تركيبها الصوتي والمقطعي، حيث:

١) جاء المقطع الأول (أَوْ= ص ح ص) متوسطًا مغلقًا؛ ليحاكي مقام الوفاء من الإتمام والتمسك والغلق والإحكام على العهد المعقود، والوفاء ببنوده والتمسك بها وكأن العهد بعد توثيقه يقفل عليه بالمغاليق؛ وفي هذا دلالة على شدَّة الإحكام والتمسك وإتمام العمل بمقتضاه من كلا الطرفين المتعاهدين.

٢) يضاف إلى ما سبق مجيء أول صوت بالكلمة همزة، وهذا الصوت ببعد مخرجه وجهره وشدَّته؛ ممَّا يناسب –أيضًا– هذا المقام ويؤكِّد ذلك المعنى.

---

(١) مقاييس اللغة: (و ف ى) (١٢٩/٦).
(٢) المفردات في غريب القرآن: (و ف ى) (ص ٨٧٨).
(٣) بحر العلوم: (٢٨٨/٢).

٣) صوت الواو وهو شبه صائت؛ لسكونه وسبقه بحركة غير مجانسة، وهذا الصوت يتميز بالوضوح السمعي(١)؛ ممَّا يحاكي وضوح شروط وبنود العهد وموافقة الطرفين المتعاهدين عليها.

٤) ختم الكلمة بمقطع مفتوح (فُو=ص ح ح)؛ ليحاكي مُدَّة العهد وامتدادها، وما يتطلبه ذلك من الالتزام والإتمام والكمال له، وعدم نقضه مهما طالت مدته.

- وقد انتقل التعبير القرآني من الأسلوب الخبري في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ إلى الأسلوب الإنشائي بصيغة الأمر في قوله: [وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ] فهذا التنويع والذي يزيد من انتباه السامع لما يتلى عليه، فيصغي السمع، ويبعد – أيضًا– عن الرتابة والملل.

قال – تعالى–: [بِعَهۡدِ ٱللَّهِ]:

تدور مادة (ع هـ د) في اللغة حول معنى الاحتفاظ بالشيء، قال ابن فارس: "الْعَيْنُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ هَذَا الْبَابِ عِنْدَنَا دَالٌّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، قَدْ أَوْمَأَ إِلَيْهِ الْخَلِيلُ. قَالَ: أَصْلُهُ الاحْتِفَاظُ بِالشَّيْءِ وَإِحْدَاثُ الْعَهْدِ بِهِ(٢). وَالَّذِي ذَكَرَهُ مِنَ الِاحْتِفَاظِ هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ فُرُوعُ الْبَابِ"(٣).

- وذكر الجوهري أنَّ (العهد) له أكثر من معنى، فقال: "العَهْدُ: الأمانُ، واليمينُ، والموثقُ، والذمّةُ، والحِفاظُ، والوصيةُ"(٤).

- والمراد به من تلك المعاني في الآية الكريمة المَوْثِق، يقول الإمام الطبري: "وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه، وعقده إذا عاقدتموه، فأوجبتم به على أنفسكم حقًا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه"(٥).

---

(١) ينظر: دراسات في علم الأصوات اللغوية: (ص ١١١).
(٢) العين: (ع هـ د) (١٠٣/١).
(٣) مقاييس اللغة: (ع هـ د) (١٦٧/٤).
(٤) الصحاح: (ع هـ د) (٥١٥/٢).
(٥) جامع البيان: (٢٨١/١٧).

- وفسَّر ابن عاشور (عهد الله) بقوله: "هو ما عهد به أي ما أوصى برعيه وحفاظه، ومعاني العهد في كلام العرب كثيرة وتصريفه عرفي. قال الزجاج: «قال بعضهم ما أدري ما العهد»[١] ومرجع معانيه إلى المعاودة، والمحافظة، والمراجعة، والافتقاد، ولا أدري أي معانيه أصل لبقيتها وغالب ظني أنها متفرع بعضها عن بعض والأقرب أن أصلها هو العهد مصدر عهده عهدًا إذا تذكره وراجع إليه نفسه يقولون عهدتك كذا أي أتذكر فيك كذا وعهدي بك كذا... والوصية، .. والعهد اليمين والعهد الالتزام بشيء"[٢].
- وحدَّد د. جبل المعنى المحوري للكلمة، فقال: "تكرر العود إلى موقع بعينه- على فترة بين المرة والأخرى- كالمَطْرة بعد المَطْرة والمنزل الموصوف، والمَطْرة التي تكون أوَّلًا لما يأتي بعدها (أي من مَطَرات مرة بعد مرة فتُسمَّى عَهْدَة باعتبار عَوْد مثلها)"[٣].
- ويلاحظ في التركيب الصوتي لقوله: ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾، ما يأتي:

١) توالي ثلاث مقاطع متوسطة مغلقة: (عَهْـ= ص ح ص)، (دِلْ = ص ح ص)، (لا = ص ح ح)، وخُتم التركيب بمقطع قصير مفتوح (هِـ= ص ح)، يتناسب ومعنى الحفظ والاحتفاظ للشيء، وتعهده مرة بعد مرة.

٢) صوتيًا: العين تعبر عن التحام ورقة مع حدّة ما، والهاء عن إفراغ ونحوه، والدال عن ضغط بامتداد وحبس، ويعبر التركيب عن حبس لما فيه رقة يتمثل ذلك الحبس في دوام الرقة.. كما في تكرار العود إلى الشيء أو لزومه كالعهد أوَّل المطر والعهد الوصية[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: (٢٣٨/٣).

(٢) التحرير والتنوير: (٣٦٩/١، ٣٧٠)، ذكره عند تفسيره الآية (٢٧) من سورة البقرة.

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: (١٥٤٣/٣، ١٥٤٤).

(٤) المصدر السابق: (١٥٤٣/٣) في الهامش.

٣) إسناد العهد وهو المَوْثِق إلى الله، فيه زيادة إلزام، والإلزام يؤخذ من تكرار وقوع حدث أو أمر بانتظام في زمن أو مكان معين، إذ يؤخذ من ذلك ضرورة الوقوع عند حلول الزمن أو الظرف ثمَّ يطلق[١].

- وقوله: [بِعَهْدِ ٱللَّهِ] إمَّا أن يكون المراد به كل العهود، وإمَّا أن يكون المراد ما يعاهد الله عليه.

"فإن كان المراد به كلّ العهود، عندها تكون إضافة العهد إلى لفظ الجلالة "الله" إضافة تعظيم؛ رفعًا لشأن العهد، وإعلامًا بأنَّه ذو قدسية؛ لأنَّ المسلم إذا عاهد فإنَّما يعاهد بصفته مسلمًا منتميًا لدين الله، ومن هنا جاءت نسبة العهد إلى الله.

وعندها يكون للعهد صور كثيرة، فالوفاء بما ألزمه المسلم على نفسه من توحيد الله من صور الوفاء بالعهد، ووفاء الصحابة ببيعة النبي – ﷺ – كذلك، ووفاء الناس ما تعاهدوا عليه من شؤونهم أيضًا من صور الوفاء بالعهد.

وإنَّ المراد (بعهد الله): ما يعاهد الله عليه، فيكون "عهد الله" خاصًا بالعهد المعقود مع الله سبحانه، وتكون الإضافة من باب الإضافة إلى المفعول"[٢].

- وجاء الخطاب القرآني بقوله: ﴿إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ جملة شرطية تتكون من أداة الشرط (إذا)[٣] وفعل الشرط (عاهد)، والذي جاء على صيغة (فاعل) والتي

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: (١٥٤٥/٣).
(٢) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: (ص ٣١٠).
(٣) (إذا): هي أداة تدلُّ على الشرط غير منظور إليها ظرفًا خافضًا لشرطه، منصوبًا بجوابه، فذلك ما لا يتطلبه الكلام، وكل ما يريد المتكلم إلى التعبير عنه بإذا أن يعلق شيئًا على شيء، نحو قوله تعالى: "﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ فَسَبِّحۡ﴾ [النصر/١: ٣]، ويرى أهل المعاني أنَّها تستعمل مع المتوقع وقوعه، فالأصل "في (إذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه، كما تقول: إذا زالت الشمس آتيك". ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: (ص ٢٩١)، والإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني، (١١٧/٢)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل– بيروت، ط: ٣، (د. ت).

تفيد المشاركة[١]، أي تشارك المتعاهدين في العهد، وهو ماض؛ للدلالة على ثبات التعاهد ووقوعه حقيقة، ويؤكِّد ذلك مجيء فعل الشرط بصيغة الأمر: ﴿وَأَوۡفُواْ﴾؛ لذا قُدِّم عليه، وهذا زيادة تنبيه لهم وتأكيد على التزامهم بالوفاء به، وعدم نقضه؛ لأنَّه "يلزمهم وفاء عهد الله وإن لم يعاهدوا في ذلك، لكنه –عزَّ وجلَّ– ذكر وفاء العهد إذا عاهدوا ونهى عن النقض؛ لأن ترك وفاء ما عاهدوا، ونقض ما أعطوا على ذلك شرطًا أقبح وأفحش ممَّا لم يعاهدوا، وهو كقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾؛ ترك الوفاء ونقضه بعد قولهم: ﴿سَمِعۡنَاوَأَطَعۡنَا﴾: أفحش، وأفحش من نقضه إذا لم يكن لهم عهد سابق وشرط متقدم، وهذا – واللَّه أعلم – معنى أمره بوفاء العهد إذا عاهدوا، وإن كان وفاء العهد لازمًا لهم، وإن لم يعاهدوا؛ إذ جعل اللَّه البشر بحيث يقبلون الحكمة والمحنة"[٢].

- وتأكيدًا لمعنى الوفاء بالعهد جاء الخطاب بأسلوب النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾؛ لنهي المخاطبين عن نقض الأيمان الموثوقة على ما تعاهدوا عليه.

قوله: ﴿وَلَا نَقُضُواْ﴾:

تدلُّ مادة (نقض) في اللغة على إفساد الشيء وانتكاثه، قال الخليل:" النَّقْضُ: إفساد ما أبرمت من حبل أو بناء"[٣].

- وقال ابن فارس:" النُّونُ وَالْقَافُ وَالضَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى نَكْثِ شَيْءٍ"[٤].

---

(١) شذا العرف: (ص ٣٠).

(٢) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، (٥٦١/٦)، تح/ د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، وينظر: التحرير والتنوير: (١٤/ ٢٦١).

(٣) العين: (ن ق ض) (٥٠/٥).

(٤) مقاييس اللغة: (ن ق ض) (٤٧٠/٥).

- وكذا فسَّرها كثير من المفسرين، منهم السمرقندي، حيث قال: "وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها أي: لا تنكثوا العهود بَعْدَ تغليظها، وتشديدها"(١).
- وذكر ابن عاشور حقيقة النقض، فقال: "والنقض في اللغة حقيقة في فسخ وحل ما ركب ووصل، بفعل يعاكس الفعل الذي كان به التركيب، وإنما زدت قولي بفعل إلخ ليخرج القطع والحرق، فيقال نقض الحبل إذا حلَّ ما كان أبرمه، ونقض الغزل ونقض البناء"(٢).

وقد استعمل (النقض) هنا مجازًا في إبطال الأيمان، بناء على حقيقة معناه.

- وبإمعان النظر في أصوات الكلمة (تنقضوا)، تبزر عدة عوامل صوتية تحاكي معناها، وهي كالآتي:

١) جاء المقطع الأول (تَنْ= ص ح ص) متوسطًا مغلقًا؛ ليحاكي شدة نقض أي معقود، وما يستلزم ذلك من وقت وجَهْد.

٢) صوت النون بسكونها، وانغلاق مخرجها انغلاقًا تامًا، حيث يحجز الهواء الخارج من الرئتين خلف التقاء طرف اللسان بمقدم الحنك التقاء محكمًا؛ ليفتح له ممر من الأنف(٣)، فهذا الغلق ممَّا يحاكي شدَّة نقض العهد المعقود عليه بالأيمان، وأنَّه لابد من التمسك به وبضوابطه.

٣) يتوسطها صوت (القاف)، وهو صوت لهوي به صفات القوَّة المتمثلة في الشدَّة والاستعلاء والجهر والتفخيم والإصمات؛ لتحاكي شدَّة وقوَّة ذلك المعقود، وما يترتب على ذلك من صعوبة نقضه.

٤) وأخيرًا ختمت الكلمة بصوت (الضاد) والتي يلاحظ عند نطقها "غلق بين اللسان والأضراس من أوَّل الحافة إلى آخرها"(٤)، وإضافة إلى استطالتها،

---

(١) بحر العلوم: (٢/٢٨٨، ٢٨٩).
(٢) التحرير والتنوير: (١/٣٦٨).
(٣) ينظر: دراسات في علم الأصوات اللغوية: (ص ١٢٣).
(٤) عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: د. عبد العزيز أحمد علام، (ص ١٣٨)، ط: ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

فهي صوت مجهور، وشديد، ومطبق، ومستعل، ومُدت –هنا– بواو المد، وجاءت على مقطع متوسط مغلق (ص ح ص)، فهذا كلُّه ممَّا يحاكي شدَّة وصعوبة نقض العهود المعقودة بالأيمان، مهما طالت مُدَّتها، لابد من التمسك بها وعدم نقضها لأي سبب كان.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْأَيْمَٰنَ﴾:

(الأيمان) جمع: يمين، وهو القسم، قال الجوهري: "واليمين: القسم، الجمع أيمن وأيمان. يقال: سمِّي بذلك؛ لأنَّهم كانوا إذا تَحالفوا ضرب كلّ امرئ منهم يَمينَهُ على يَمينِ صاحبِهِ"(١).

- والمراد بـــ (الأيمان) هنا الأيمان الداخلة في العهود والمواثيق لا التي هي واردة على حث أو منع، ولهذا قال مجاهد في قوله: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ يعني الحلف، أي حلف الجاهلية(٢). وليست من باب قول رسول الله –ﷺ–: "مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِهَا، وَلْيُكَفِّرَ عَنْ يَمِينِهِ"(٣).

وقوله: ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾:

تدلُّ مادة (و ك د) في اللغة على التأكيد والتوثيق والشد والإحكام، قال الخليل: "وكد: وَكَّدْتُ العقد واليمين، أي: أوثقته، والهمزة في العقد أجود"(٤).

---

(١) الصحاح: (ي م ن) (٦/٢٢٢١).

(٢) تفسير ابن كثير، ط العلمية: (٤/٥١٣).

(٣) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (كتاب الأيمان)(باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيرًا منها) رقم(١٦٥٠)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د. ط) (د. ت).

(٤) العين: (و ك د) (٥/٣٩٥).

- وقال ابن فارس: "الْوَاوُ وَالْكَافُ وَالدَّالُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى شَدٍّ وَإِحْكَامٍ. وَأَوْكِدْ عَقْدَكَ، أَيْ شُدَّهُ"(١).

- قال الزجاج: "يقال: وكَدتُ الأمْر، وأكَّدْتُ الأمْرَ. لغتان جَيِّدَتَانِ، والأصل الوَاوُ. والهمزة بدل منها"(٢).

- وكذا فسَّرها المفسرون بهذا المعنى، قال ابن عاشور: "والتوكيد: التوثيق وتكرير الفتل، وليس هو توكيد اللفظ كما توهَّمه بعضهم فهو ضد النقض"(٣).

"وإضافته إلى ضمير الأيمان ليس من إضافة المصدر إلى فاعله ولا إلى مفعوله إذ لم يقصد بالمصدر التجدد بل الاسم، فهي الإضافة الأصلية على معنى اللام، أي التوكيد الثابت لها المختص بها. والمعنى: بعد ما فيها من التوكيد، وبيَّنه قوله: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ والمعنى: ولا تنقضوا الأيمان بعد حلفها"(٤).

- ويإمعان النظر في التركيب الصوتي للكلمة، تجد أنها تحاكي دلالتها المعجمية، حيث:

١) جاء المقطع الأول (تَوْ= ص ح ص) متوسطًا مغلقًا؛ ليناسب مقام التوثيق والإحكام للأيمان.

٢) صوت (الواو) والذي يتكون باستدارة الشفتين (مع ارتفاع في أقصى اللسان) والمستدير يضمُّ ويشمل ما يحيط به". فالضمُّ والإحاطة ممَّا يتناسب ومقام الإحكام والشدِّ، لكلِّ جوانب العهد.

---

(١) المقاييس: (و ك د) (١٣٨/٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، (٢١٧/٣)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط ١: ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٣) التحرير والتنوير: (١٤/ ٢٦٢).

(٤) المصدر السابق نفسه.

٣) صوت (الكاف) بشدَّته، ممَّا يحاكي معنى تشديد الأيمان وتغليظها، كما يأتي بعدها ياء المد، فهو بهذا مقطع متوسط مفتوح، وهذا ممَّا يحاكي الاستمرار في التمسك بتلك الأيمان المؤكدة مهما طالت مدتها، وعدم نقضها لأي سبب كان.

٤) صوت (الدال) بشدَّته وجهره، ممَّا يناسب معنى التغليظ والتوثيق للأيمان المعقودة.

٥) وختم الكلمة (هَا= ص ح ح) بمقطع متوسط مفتوح، وهذا ممَّا يحاكي الاستمرار في التمسك بتلك الأيمان المؤكدة مهما طالت مدتها، وعدم نقضها لأي سبب كان.

- وقد جاء الخطاب القرآني ﴿وَلَا نَقُضُواْ﴾ بأسلوب النهي[١] المعطوف على قوله: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾؛ تأكيدًا لمعنى الوفاء بالعهد، كما أن أسلوب النهي المكون من (لا) الناهية[٢]، وفعل (المضارع) الذي يفيد التجدد والاستمرار، وكأنَّه سبحانه ينهانا دومًا، ويذكِّرنا مع كلِّ عهد أن نفي به، ولا ننقضه، وما ذلك إلا لقيمة الوفاء بالعهد؛ لأنَّه عهد مع الله قبل أن يكون عهد مع الناس،

---

(١) النهي: "هو طلب الكف عن شيء ما، ماديّ أو معنويّ، وتدلُّ عليه صيغة كلامية واحدة هي: الفعل المضارع الذي دخلت عليه (لا) الناهية". ينظر: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، (١/ ٢٢٨)، دار القلم، دمشق، ط: ١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

(٢) لا الناهية: حرف طلبي يجزم الفعل المضارع. ويتحقق النهي إذا كان الطلب موجهًا إلى من هو أدنى درجة، ويكون للدعاء إذا كان من الأدنى إلى الله عز وجل، وللالتماس إذا كان من مساؤ إلى نظيره. ينظر: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات: محمد حسن الشريف، (ص٨٨٩)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

فالوفاء به معناه بقاء الثقة بين المتعاهدين، وإقامة علاقات يسودها الودُّ والتعاون والترابط، وحفظ للحقوق والبقاء؛ لأنَّ نقضها على النقيض من ذلك تمامًا.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ متضمن لقوله: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾:

لأنَّ حقوق العباد مندرجة تحت حقوق الله، لأنَّ من طاعة الله إعطاء العباد حقوقهم، ولكن ذكر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ من باب التنصيص لأجل التفصيل والتأكيد.

- ولا بد من العلم بأن يمين العقود والعهود وحقوق العباد ليست على نية الحالف، بل هي على نية من يحلف له؛ لأنَّها لو تركت على نية الحالف؛ لكان فيها هضم لحقوق العباد، فلا يقبل قول قائل: إنني حلفت لكم يميناً على هذا العهد؛ ولكنه كان لغوًا؛ قال رسول الله – ﷺ–: "يمينك على ما يصدقك عليه صاحبك"(١).

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾:

حثٌّ آخر على الوفاء بالأيمان؛ فالواو في قوله: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ﴾ واو الحال، و(قد) للتأكيد(٢)، فالجملة حال من فاعل "تنقضوا"، وهي مؤكدة لمضمون ما قبلها من وجوب الوفاء بالعهود والنهى عن نقضها(٣). أي: أوفوا بالأيمان ولا تنقضوها؛ لأنَّ حالكم هو أنَّكم جعلتم الله كفيلًا عليكم(٤).

---

(١) صحيح مسلم: (كتاب الأيمان) (باب يمين الحالف على نية المستحلف) رقم (١٦٥٣).

(٢) قد: حرف للإخبار يفيد التحقيق والتقريب غالبًا، إذا دخل على الفعل الماضي، وأطلق على (قد) وصف التحقيق لما فيه من معنى تأكيد الحصول، وأطلق وصف التقريب لأنَّها تقرب الماضي من الحال. ينظر: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات: (ص٧٨٥).

(٣) التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي (٢٢٤/٨).

(٤) التفسير البياني: (ص ٣١٣).

- وقد استخدم النص القرآني الفعل الماضي ﴿جَعَلْتُمُ﴾ والذي يدلُّ على تمكُّنهم من جعل الله ضامناً لهم فيما التزموا به من عهود، وشاهدًا ورقيبًا على أقوالهم وأعمالهم.
- ومن معاني (جعل) في اللغة الصيرورة، يقول الجوهري: "جَعَلْتُ كذا أَجْعَلُهُ جعْلاً ومَجْعَلاً. وجَعَلَهُ الله نبيًّا، أي صيّره. وجَعَلوا الملائكة إناثاً، أي سمَّوهم"(١).
- وبتأمل أصوات مادة (ج ع ل)، يلاحظ أنَّ: صوت الجيم بجهره وشدَّته، وصوت العين بنصاعته وجهره يتوائم مع معنى تمكُّنهم من جعله – جلَّ وعلا– ضامناً ورقيبًا على أقوالهم وأفعالهم، وصوت اللام بما فيه من اتساع وجهر، مع استفال وانفتاح الجيم والعين، يحاكي قربه –جلَّ في علاه– من خلقه وعظمة ذلك في نفوسهم، حتى لكأنَّهم يصيرونه ضامناً ورقيبًا عليهم، وقبوله لذلك بأن يُمكِّنهم من ذلك واستجابته لهم.
- ومعنى ﴿كَفِيلًا ﴾ضامناً، حيث تدلُّ مادة (ك ف ل) في اللغة على تضمن الشيء للشيء، قال ابن فارس: "الْكَافُ وَالْفَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَضَمُّنِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ.... . وَمِنَ الْبَاب الْكَفِيلُ، وَهُوَ الضَّامِنُ، تَقُولُ: كَفَلَ بِهِ يَكْفُلُ كَفَالَةً"(٢).
- وللمفسرين في معنى «كفيلًا» ثلاثة أقوال: أحدها: شهيداً. والثاني: وكيلًا. والثالث: حفيظاً مراعياً لعقدكم(٣).

- وقال ابن عاشور:" والكفيل: الشاهد والضامن والرقيب على الشيء المراعي لتحقيق الغرض منه"(٤).

---

(١) الصحاح: (ج ع ل) (١٦٥٦/٤).
(٢) المقاييس: (ك ف ل) (١٨٧/٥).
(٣) ينظر: زاد المسير: (٥٨٠/٢).
(٤) التحرير والتنوير: (٢٦٢/١٤).

- وكلُّها معان محتملة يتَّسع اللفظ لإحتوائها، وهذا ما تؤكِّده الدلالة الصوتية للكلمة، حيث يتَّضح الآتي:

١) صوت (الكاف) وهو صوت شديد، ممَّا يناسب مقام الوكالة، والحفظ، والهمس فيه وفي صوت الفاء بعده ممَّا يناسب مقام المراقبة والمشاهدة، وامتداد الفاء بالياء المدِّية، وهذا يعدُّ مقطعًا متوسطًا مفتوحًا (فِي= ص ح ح)، يحاكي استمرار عملية المراقبة، وطول بقائها ببقاء العهد الموثّق بالأيمان المؤكَّدة.

٢) ختمت بصوت اللام وهو صوت مجهور، ينطق "بامتداد طرف اللسان حتى يلتقي بأعلى اللثة كالمعلق مفسحًا جانبيه لمرور صوت اللام مجهورًا قويًا"[(١)]، وهذا ممَّا يلاءم حالة الاستمرار في المراقبة والوكالة، والمستمرة باستمرار التمسك بالعهد، والأيمان المؤكّدة له، متوسط حيث، ينحبس الهواء الخرج.

- كما استخدم النص القرآني التأكيد بالتقديم[(٢)] في قوله: ﴿عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾ حيث قُدِّم الجار والمجرور (عليكم) تأكيدًا لكم على أنَّكم جعلتم الله كفيلًا، وزيادة في التحذير من نقض الأيمان، أي احذروا فإنَّكم جعلتم الله كفيلًا عليكم أنتم وليس على غيركم، وليس "عنكم كفيلًا"، أو "كفيلكم"؛ وذلك لتضمين (كفيلًا) معنى رقيبًا وشاهدًا.

- ولكن لماذا هذا التضمين؟

جاء هذا التضمين لتكون الجملة بقوَّة جملتين، فهو سبحانه وتعالى ضامن، وزيادة على ذلك هو شاهد ورقيب يرى كلَّ ما يقع.

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: (٣٦/١، ٣٧).

(٢) صورة من صور التوكيد بغير أداة، حيث يُقدَّم ما هو أهم؛ ليقع ذلك في نفس المخاطب موقعًا ثابتًا. ينظر: في النحو العربي، نقدًا وتوجيه: (ص ٢٤٣).

وفي هذا التضمين إعلام لمن يعقد الأيمان ويجعل الله سبحانه ضامناً لهذه العقود، إعلام له بأنَّ جعلك الله سبحانه ضامناً ليمينك يقتضي أن يعاقبك على نقضه، فهو شاهد ورقيب لما تفعل.

فالجملة الكريمة تحذر المتعاهدين من النقض بعد أن جعلوا الله- تعالى- كفيلًا عليهم(١).

ثمَّ ختم- سبحانه- الآية الكريمة بهذا التهديد الخفي فقال- تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾:

أي: إنَّ الله- تعالى- يعلم ما تفعلون من الوفاء أو النقض، بل كلَّ ما تفعلونه، وسيجازيكم بما تستحقون من خير أو شر، فالمراد من العلم لازمه، وهو المجازاة على الأعمال(٢).

ويرى ابن عاشور أنَّ هذه الجملة: "خبر مراد منه التحذير من التساهل في التمسك بالإيمان والإسلام لتذكيرهم أنَّ الله يطَّلع على ما يفعلونه"(٣).

قوله: ﴿يَعۡلَمُ﴾ العلم هو: "إدراك الشيء بحقيقته"(٤):

والدلالة الصوتية للكلمة تحاكي معناها: فصوت العين بنصاعته، وببعد مخرجه، واللام بامتدادها، وصوت الميم بإطباق الشفتين عند النطق به، كلُّها دلالات تحاكي معنى إدراك حقيقة الشيء، والتمكن منه.

ويضاف إلى ما سبق مجيء أول الفعل على مقطع متوسط مغلق؛ ليحاكي علمه – سبحانه – بالخفيات، التي لا يدركها أحد من خلقه.

---

(١) التفسير البياني: (ص ٣١٣، ٣١٤).
(٢) ينظر: التفسير الوسيط: (٨/٢٢٤).
(٣) المصدر السابق: (١٤/٢٦٣).
(٤) المفردات في غريب القرآن: (ع ل م) (ص ٥٨٠).

وختم الفعل بمقطعين قصرين مفتوحين (لَ= ص ح)، (مُ= ص ح)؛ ممَّا يحاكي سعة علمه وإدراكه لكلِّ شيء في هذا الكون العظيم، فهو -سبحانه- لا يخفى عليه خافية.

وقوله: ﴿تَفْعَلُونَ﴾:

تدلُّ مادة (ف ع ل) على إحداث شيء من عمل أو غيره، قال ابن فارس: "الْفَاءُ الْعَيْنُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْدَاثِ شَيْءٍ مِنْ عَمَلٍ وَغَيْرِهِ"(١).

- والدلالة الصوتية لمادة (ف ع ل) تحاكي معناها، حيث: تعبر الفاء عن طرد وإبعاد بقوَّة، والعين عن عرض أو التحام مع رقة وشيء من الحدَّة، واللام تعبر عن تعلق أو امتداد مع استقلال أو تميز مادي أو حدث يعمل أو يؤدِّي بجدٍّ (إنجاز مع عدم تراخ) كالذي يؤدي بالفأس والقدوم(٢).
- وحدَّد د. جبل المعنى المحوري لمادة (ف ع ل)، بأنَّه: "نفاذ أو مخالطة مادية عنيفة أو جادَّة (قطع أو فك أو حَمْل ثقل أو تحريك ...) يُغيّر شيئًا أو يُحْدثه: كما ينفذ العود في خرت الفأس إلخ ليمكن العمل بها أو كما يُفعل بالفأس والقدوم..إلخ تلك الآلات، وكما يفعله عَمَلَةُ الطين والحفر إلخ.. ثمَّ عُمِّم في كلِّ ممارسة عملية تتطلب قوَّة زائدة تتمثَّل في تحمُّل المشقة أو التأثير أو الجِدِّ "فالفعل كناية عن كلِّ عمل"(٣).
- واستخدم النص القرآني اسم الموصول (ما)، والاسم الموصول يدلُّ على العموم(٤)، أي إنَّ الله يعلم كلَّ ما تفعلونه، وتأكيدًا لمعنى العموم جاء التعبير

---

(١) المقاييس: (ف ع ل) (٥١١/٤).

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: (٤١/١) (١٦٩١/٣).

(٣) المصدر السابق: (١٦٩٢/٣).

(٤) معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، (١٣٩/١)، دار الفكر، عمان، الأردن، ط: ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

القرآني بالفعل المضارع للفعلين (علم) و (فعل)؛ لإفادة التجدد والاستمرار، أي كلَّما فعلوا فعلًا فالله يعلمه، فعلمه – سبحانه– بأفعالكم، لا ينقطع، فجازيكم إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

- ووظّف الخطاب القرآني أسلوب التوكيد باستخدام الجملة الاسمية[١] التي بدأت بقوله: [إِنَّ] والتوكيد بـــ (إنَّ) للاهتمام بالخبر، وكذلك التأكيد ببناء الجملة بالمسند الفعلي دون أن يقال: إنَّ الله عليم، ولا: قد يعلم الله[٢].
- ويخصِّص ابن عاشور معنى الآية الكريمة بتوجيه الخطاب إلى المسلمين حديثي عهد بالإسلام، فيقول: "والمقصود من هذه الجمل كلِّها من قوله: [وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ] إلى هنا تأكيد الوصاية بحفظ عهد الإيمان. وعدم الارتداد إلى الكفر، وسد مداخل فتنة المشركين إلى نفوس المسلمين، إذ يصدونهم عن سبيل الإسلام بفنون الصدِّ، كقولهم: ﴿نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سورة سبأ/ ٣٥] ، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة الأنعام/٥٣] .

ولم يذكر المفسرون سببًا لنزول هذه الآية، وليست بحاجة إلى سبب. وذكروا في الآية الآتية وهي قوله: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ [سورة النحل: ١٠٦] أن آية ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ ﴾ إلى آخرها نزلت في الذين رجعوا إلى الكفر بعد الإيمان لما فتنهم المشركون ..، فجعلوا بين الآيتين اتصالا"[٣].

---

(١) ينظر: نفس الدلالة الصوتية، والتركيبة لأسلوب التوكيد، كما سبق ذلك في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: (٢٦٣/١٤).

(٣) المصدر السابق نفسه.

- ويرى البحث أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب- كما سبق أن أشرت-، فالمعنى الذي ختمت به الآية الكريمة، ينبهنا – كمتلقين- إلى مراقبة الله – تعالى- في كلِّ عمل نعمله، فهو – سبحانه- لا يخفى عليه شيء، وذلك أدعى إلى طاعته، والأخذ بأوامره ونواهيه، والتي فيها صلاح أحوالنا وحياتنا.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[النحل].

- فبعد أن نهى الله – سبحانه وتعالى – عن نقض الأيمان بعد توكيدها، أتبعه بهذه الآية التي توضِّح عظيم قبح نقض الأيمان، بتشبيه حال من ينقض ما عقد من الأيمان بحال امرأة خرقاء كانت تنسج غزلها، ثمَّ تنقضه كأن لم يكن.
- وجاء النهي عن اتخاذ الأيمان وسيلة للخداع، وذلك عن طريق نقضها مع المعاهدين إذا وجد من هو أقوى منهم من القبائل الأخرى. وإنما أمر الله – سبحانه- بالوفاء بالعهد اختبارًا، وسوف يجازي الله – سبحانه وتعالى – كلا بعمله يوم القيامة، إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشر(١).
- وعطف على جملة: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [سورة النحل: ٩١]، واعتمد العطف على المغايرة في المعنى بين الجملتين لما في هذه الثانية من التمثيل وإن كانت من جهة الموقع كالتوكيد لجملة ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾. نهوا عن أن يكونوا مضرب مثل معروف في العرب بالاستهزاء، وهو المرأة التي تنقض غزلها بعد شدِّ فتله(٢).

---

(١) ينظر: التفسير البياني: (ص ٣١٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: (٢٦٤/١٤).

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا ﴾:

"هذا نهي من الله – سبحانه وتعالى – أن ننقض الأيمان، ولكن جاء التعبير بـــ (تكونوا) وليس "تفعلوا"؛ لما في التعبير بـــ (تكونوا) من زيادة دلالة على الوجود؛ فالتعبير بـــ "لا تفعلوا" لا يوحي بمنزلة الفاعلين، وإنما يفيد النهي عن الفعل فقط، ولكن التعبير بـــ (ولا تكونوا) يوحي بمنزلة الفاعلين بأنهم أصبحوا بفعلهم هذا بمنزلة المرأة الخرقاء التي تنقض غزلها بعد نسجه"(١).

قال – تعالى–: ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾:

فهنا تساؤل من هذه التي نقضت غزلها؟

قيل: امرأة في مكة كانت خرقاء. وهذا القول مروي عن بعض التابعين كالسّدي وعبدالله بن كثير، ولا يصح هذا عن ابن عباس.

وقيل: هو من باب المثل الذي يراد به الوصف دون التعيين، فهي امرأة ليست معينة. وهو مروي عن قتادة، وهو من التابعين، فقد روى عنه الطبري عند تفسير هذه الآية بسند صحيح: " وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده". وبالرواية عن قتادة يتَّضِح أن التابعين غير متفقين على أن المرأة معينة حتى نقول: إن تعيينها من أخبار العرب.

ودليل بعض من ذكر أنَّها معينة: أنَّ الإخبار عنها بالاسم الموصول "التي"؛ لأنَّها معلومة عند العرب، ولم يذكر اسمها؛ لأنَّه ليس لذكر اسمها شأن عظيم كذكر أسماء الأنبياء، أو كبعض ذوي الشأن في التاريخ، بغض النظر عن تقواهم وفجورهم، كذي القرنين وفرعون وهامان وقارون وجالوت.

ولكن لابد من الإشارة إلى أنَّ التعبير بالاسم الموصول قد لا يدلُّ على معين، ومثال الاسم الموصول الذي لا يدل على معين قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

(١) المصدر السابق نفسه.

ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]؛ ولذا لا نستطيع الجزم بأن الاسم الموصول ينبهنا بأنها امرأة معروفة.

وعلى كلٍّ، فإنَّه ليس من كبير فائدة في معرفة أن التي نقضت غزلها معينة أو لا، ولكن تكلمت على هذا من باب العلم ليس إلَّا[1].

- ويرى البحث أنَّ نظم الآية وتصويرها لتلك الحالة بشكل كأنَّه مشاهد، يستدعي معرفة المخاطب بتلك المرآة؛ ليكون الوعظ والتنبيه أوقع في النفس، وحاملًا لها على ما فيه النفع لها ولغيرها. هذا والله أعلى وأعلم.

قال – تعالى-: ﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا﴾:

تدلُّ مادة (ن ق ض) في اللغة على معنى الإفساد- سبق بيانه-.

قوله: ﴿غَزۡلَهَا﴾:

تدلُّ مادة (غ ز ل) في اللغة على الفتل، قال الجوهري: "وغَزَلَتِ المرأة القطنَ تَغْزِلُهُ غَزْلاً واغْتَزَلَتْهُ بمعنًى. والغَزْلُ أيضاً: المَغْزولُ. والمُغْزَلُ والمِغْزَلُ: ما يُغْزَلُ به. قال الفراء: والأصل الضم، وإنما هو من أُغْزِلَ، أي أُديرَ وفُتل. وأغْزَلَتِ المرأة: أدارت المُغْزَلَ"[2].

- والغزل: هنا مصدر بمعنى المفعول، أي المغزول، لأنَّه الذي يقبل النقض[3].

- وكذا فسَّره الطاهر بن عاشور بقوله: "والغزل: فتل نتف من الصوف أو الشعر لتجعل خيوطًا محكمة اتصال الأجزاء بواسطة إدارة آلة الغزل بحيث

---

(١) التفسير البياني: (ص٣١٥، ٣١٦).

(٢) الصحاح: (غ ز ل) (١٧٨١/٥).

(٣) التحرير والتنوير: (٢٦٥/١٤).

تلتف النتف المفتولة باليد فتصير خيطًا غليظًا طويلًا بقدر الحاجة ليكون سدى أو لحمة للنسج"[١].

- وحدَّد د. جبل المعنى المحوري لمادة (غ ز ل)، بأنه: "تحوُّل الهشّ إلى شيء ممتد متين

متميز: كالخيط المغزول من القطن والصوف والكتَّان إلخ"[٢].

- والتركيب الصوتي لمادة (غ ز ل)، يعكس تلك الدلالة المعجمية، حيث تعبر الغين عن تخلخل مع رقَّة ما، والزاي عن اكتناز ودقَّة أو حدَّة، واللام تعبر عن نوع من الامتساك والاستقلال، ويعبر التركيب عن تحوّل الشيء الهش إلى ممتد متين متميز (مستقل) [٣].

قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ﴾:

تدلُّ مادة (ق و ي) في أحد معانيها على الشدَّة، قال ابن فارس: "الْقَافُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى شِدَّةٍ وَخِلَافِ ضَعْفٍ، وَالْآخَرُ عَلَى خِلَافِ هَذَا وَعَلَى قِلَّةِ خَيْرٍ.

فَالْأَوَّلُ الْقُوَّةُ، وَالْقَوِيُّ: خِلَافُ الضَّعِيفِ. وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنَ الْقُوَى، وَهِيَ جَمْعُ قُوَّةٍ مِنْ قُوَى الْحَبْلِ "[٤].

- وهذا ما قرَّره كثير من المفسرين، يقول ابن عطية: "«القوَّة» في اللغة واحدة قوى الغزل والحبل، وغير ذلك ممَّا يظفر، ويظهر لي أنَّ المراد ب «القوَّة» في الآية الشدَّة التي تحدث من تركيب قوى الغزل ولو قدرناها واحدة القوى لم يكن معها ما ينقض أنكاثا، والعرب تقول أنكثت الحبل إذا انتقضت قواه، أمَّا

---

(١) السابق نفسه.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: (١٥٧٨/٣).

(٣) المصدر السابق: (١٥٧٦/٣، ١٥٧٧).

(٤) المقاييس: (ق و ي) (٣٦/٥، ٣٧).

إن عرف الغزل أنَّه قوَّة واحدة، ولكن لها أجزاء كأنَّها قوَّة كثيرة له، قال مجاهد: المعنى من بعد إمرار قوَّة"[١].

- والمعنى: "أي من بعد إحكام وإتقان؛ لأنَّه لا ينكر أن تنقض المرأة غزلها إن لم تكن أحكمت غزله؛ لأنَّه حينها يعدُّ في زمرة الفاسد الذي لا بد أن يصلح، فيكون نقضها ساعتها من الإصلاح"[٢].

- وتبرز المناسبة بين أصوات الكلمة، وبين ما تدلُّ عليه من حيث قوَّة أصوات الكلمة المناسبة لقوَّة المعنى المقصود؛ حيث:

١) بدأت بصوت القاف وهو صوت لهوي به صفات القوَّة المتمثلة في الشدَّة والاستعلاء والجهر والتفخيم والإصمات؛ لتحاكي شدَّة وقوَّة ذلك المغزول، وما يترتب على ذلك من صعوبة نقضه.

٢) جاء المقطع الأول للكلمة (قُوْ= ص ح ص) متوسطًا مغلقًا؛ ليحاكي بغلقه شدَّة وإحكام ما غزلته تلك المرأة الخرقاء.

٣) توسط صوت الواو وهو مجهور، إضافة إلى كونه مضعفًا، والجهر يعني: تذبذب واهتزاز الأوتار الصوتية، وفي ذلك ما يحاكي الشدَّة والإجهاد التي تحدث من تركيب قوى الغزل، وما استنفذه ذلك من وقت وجَهْد.

٤) جاء المقطع الأخير للكلمة (تِنْ= ص ح ص) حال الوصل (وَهْ= ص ح ص) حال الوقف متوسطًا مغلقًا -أيضًا-؛ ليؤكِّد بغلقه شدَّة وإحكام ما غزلته تلك المرأة الخرقاء.

- فهذا التعبير القرآني [مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ] فيه إشارة إلى التمسك بالعهود والمواثيق، وعدم هدمها بعد توثيقها، لما يترتب على ذلك من إضاعة للوقت والجهد، الذي استغرقته من أجل عقدها وإبرامها، فضلًا عن تأثير ذلك بالسلب على العلاقات والمعاملات بين الناس.

---

(١) المحرر الوجيز: (٤١٨/٣).

(٢) التفسير البياني: (ص ٣١٦).

- قال الشعراوي: "كلمة (قوَّة) تدلّنا على أنَّ كلَّ عمل يحتاج إلى قوَّة"(١).

قال – تعالى–: ﴿أَنكَٰثًا﴾:

أنكاث جمع (نِكْثٍ) ومعناه (النقض)، قال ابن فارس: "النُّونُ وَالْكَافُ وَالثَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى نَقْضِ شَيْءٍ. وَنَكَثَ الْعَهْدَ يَنْكُثُهُ نَكْثًا. وَانْتَكَثَ الشَّيْءُ: انْتَقَضَ. وَالنِّكْثُ: أَنْ تُنْقَضَ أَخْلَاقُ الْأَكْسِيَةِ وَتُغْزَلَ ثَانِيَةً"(٢).

- ولم تخرج أقوال المفسرين عن هذا المعنى، حيث قال البقاعي: "﴿أَنكَٰثًا﴾ أي أنقاضاً، جمع نِكْث وهو كلُّ شيء نقض بعد الفتل سواء كان حبلاً أو غزلاً، فهو مصدر مجموع من نقضت؛ لأنَّه بمعنى نكثت"(٣).
- "والمراد بصيغة الجمع أنَّ ما كان غزلًا واحدًا جعلته منقوضًا، أي خيوطًا عديدة. وذلك بأن صيرته إلى الحالة التي كان عليها قبل الغزل وهي كونه خيوطًا ذات عدد"(٤).

وفي التعبير بالجمع تصوير لتلك الحالة التي يكون عليها المجتمع بعد نقض العهد، من تفكك ووهن وضعف، بعد أن كان قوَّة واحدة قويَّة.

- وبإمعان النظر في التركيب الصوتي لكلمة (أنكاثًا) يتضح الآتي:

١) بدأت بصوت (الهمزة) وهو صوت بعيد المخرج، يتصف بصفات القوَّة وهي الشدَّة والجهر، ممَّا يحاكي شدَّة عملية النقض، واستغراقها لبعض الوقت والجهد، وهذا ما أكَّده التعبير بصيغة الجمع؛ ليفيد أنَّ النقض يمر بمراحل كثيرة، حتى ينقض ويفتل ذلك المعقود.

---

(١) تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، (١٣/ ٨١٧٨)، مطابع أخبار اليوم، (د. ط) (د. ت).

(٢) المقاييس: (ن ك ث) (٤٧٥/٥).

(٣) نظم الدرر: (٢٤٢/١١).

(٤) التحرير والتنوير: (٢٦٥/١٤).

٢) جاء المقطع الأول للكلمة (أَنْ= ص ح ص) متوسطًا مغلقًا؛ ليحاكي بغلقه شدَّة وصعوبة نقض ما أحكم غزله.

٣) صوت (الكاف) بشدَّته، مع امتداداه بألف المد؛ يؤكِّد ذلك المعنى ويحاكيه، ويكشف عن طول الوقت الذي تستنفذه عملية النقض.

٤) وصفة الهمس في صوتي (الكاف) و (الثاء)، ممَّا يحاكي حالة الضعف التي يصل إليها المغزول بعد نقضه، خلاف ما كان عليه من إحكام وقوَّة عندما كان مغزولًا.

٥) وختم الكلمة بمقطع مفتوح (ثَا= ص ح ح) حال الوقف، أو متوسط مغلق (ثَنْ= ص ح ص) حال الوصل، ممَّا يحاكي صعوبة عملية النقض، واستغراقها وقتًا وجهدًا.

- وفي تقديم الاحتراس (من بعد قوَّة) على (أنكاثا) زيادة في بيان عجيب فعل المرأة، فقبل أن يكتمل في ذهن السامع معنى أنَّ المرأة نقضت غزلها، يكون التنبيه ولفت النظر: انتبه! هذا النقض نقض إفساد لا إصلاح؛ لأنَّ الغزل محكم الصنعة(١).
- "والحقُّ تبارك وتعالى بهذا المثَل المشَاهد يُحذرنا من إخلاف العهد ونقْضه؛ لأنَّه سبحانه يريد أن يصونَ مصالح الخلق؛ لأنَّها قائمة على التعاقد والتعاهد والأيْمان التي تبرم بينهم، فمَنْ خان العهد أو نقضَ الأيْمان لا يُوثق فيه، ولا يُطْمأنُ إلى حركته في الحياة، ويُسقطه المجتمع من نظره، ويعزله عن حركة التعامل التي تقوم على الثقة المتبادلة بين الناس"(٢).

(١) التفسير البياني: (ص ٣١٧).

(٢) تفسير الشعراوي: (١٣/ ٨١٧٩).

قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾:

ظاهره إخبار ومعناه النهي، والتقدير: لا تكونوا كتلك المرأة؛ متخذين أيمانكم للغش، بأن يكون قوم أكثر من قوم(١).

- وتدلُّ مادة (أ خ ذ) في اللغة على معنى التناول والقبض و الجمع، قال ابن فارس: " الْهَمْزَةُ وَالْخَاءُ وَالذَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ تَتَفَرَّعُ مِنْهُ فُرُوعٌ مُتَقَارِبَةٌ فِي الْمَعْنَى. [أَمَّا] أَخَذَ فَالْأَصْلُ حَوْزُ الشَّيْءِ وَجَبْيُهُ وَجَمْعُهُ. تَقُولُ أَخَذْتُ الشَّيْءَ آخُذُهُ أَخْذًا. قَالَ الْخَلِيلُ: هُوَ خِلَافُ الْعَطَاءِ"(٢).
- وهذا ما صرَّح به أكثر المفسرين، يقول أبو حيان: "الأخذ: ضد الترك، والأخذ: القبض والإمساك"(٣).
- وحدَّد د. محمد حسن جبل المعنى المحوري لمادة (أ خ ذ)، بأنه: "حوز الشيء في الأثناء ضمًّا أو قبضًا على غلظ ماديّ أو معنويّ"(٤).
- وبالتحليل الصوتي للكلمة يتأكَّد هذا المعنى، حيث:

١) جاء المقطع الأول (تَتْ= ص ح ص) متوسطًا مغلقًا، وتتصف التاء بالشدَّة، ممَّا يتناسب ومعنى القبض والإمساك بالشيء، وإحكام ذلك، فالأيمان التي يتخذونها دخلًا، هي عمل داخلي لا يتطلع عليه أحد، محكم في سريرتهم، متمسكين به–وهذا أمر معنوي– في داخلهم، ينفذونه عندما تأتي لهم الفرصة، وهذا الخفاء يدل عليه همس التاء والخاء.

---

(١) التفسير البسيط: (١٣/ ١٨٣).

(٢) المقاييس: (أ خ ذ) (٦٨/١).

(٣) البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٣٠٣/١)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: (٥٣٦/١).

٢) يليه صوت الذال وفيه" نفاذ ثخين ذي رخاوة ما وغلظ"[١]. وهذا الذي تعبر عنه الذال يلتقي مع الشعور بتكون صوتها بمد طرف اللسان مستعرضًا حتي يتوسط ما بين الثنايا العليا والسفلى، فيبرز قليلًا، ويخرج صوتها مجهورًا، على ذلك"[٢]، فهذا يتناسب ومقام خفاء الغش والخديعة للأيمان الدخلة، وتسربها في داخلهم وإحكامها، حتى تأتي الفرصة للجهر بها وظهورها أمام الطرف المخادَع، وهذا ما تحاكيه المقاطع المفتوحة للكلمة (تَ= ص ح) + (خِ= ص ح)+ (ذُو= ص ح ح)+ (نَ= ص ح).

قوله: ﴿نَتَّخِذُونَ﴾:

مضارع (اتخذ) على وزن (افتعل)، فاعله: واو الجماعة، ومفعوله الأول: (أيمانكم)، ومفعوله الثاني: دخلًا، وقد دلت صيغة (افتعل)، (اتخذ) على معنى الاتخاذ[٣]، والاتخاذ قد يحدث من أحد الطرفين المتعاهدَيْنِ، فأيًا منهما قد يغدر إذا وجد نفاذًا لزيادته.

كما أنَّ الفعل يوحي بتكلف ذلك الأمر على طبيعة الفطرة السليمة، قال البقاعي: " فقال تعالى: [نَتَّخِذُونَ] أي بتكليف الفطرة الأولى ضد ما تدعو إليه من الوفاء"[٤].

- "وفائدة وقوع الجملة حالًا الإشارة إلى وجه الشبه أي لا تكونوا مشبهين بامرأة هذا شأنها متخذين أيمانكم وسيلة للغدر والفساد بينكم أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ أي بأن تكون جماعة هِيَ أَرْبى أي أزيد عددًا وأوفر مالًا مِنْ أُمَّةٍ أي من جماعة أخرى"[٥].

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: (٤٠/١).

(٢) المصدر السابق: (٢٩/١).

(٣) شذا العرف: (ص ٣٢).

(٤) نظم الدرر: (٢٤٣/١١).

(٥) روح المعاني: (٤٥٨/٧).

- "قال المفسرون: نزلت هذه الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم إذا حالفت الأخرى ثمَّ جاءت إحداهما قبيلة كبيرة، قوية فداخلتها، غدرت الأولى ونقضت معها ورجعت إلى هذه الكبرى، فقال الله تعالى ولا تنقضوا العهود من أجل أن تكون قبيلة أزيد من قبيلة في العدد والعزة"(١).
- وهذه الحال هي حال أهل الجاهلية، يتخذون العهود خداعًا لأجل مصالحهم، فهم لا ينوون حين يعاهدون إلا اتخاذ العهد خديعة؛ ليتسلقوا بالعهد من القوي إلى الأقوى منه؛ لينالوا مكاسبهم.

وإنما جاء الإسلام لينهى عن هذه العادات الجاهلية، ولكن هذه العادات الخسيسة أصبحت في هذا الزمن تصنف في قمة الحنكة السياسية، فما السياسة في هذا الزمن الذي ينادون فيه بالحضارة إلا خداع وغش وتسلق، وما الأحلاف الدولية وتغير المواقف من زمن إلى زمن إلا بحثًا عن الأقوى ونقضًا لعهد الضعيف(٢).

ولعلَّ مشاهد الحروب والدمار التي يشهدها العالم من حولنا، هي صورة لفساد المعاملات ونقض العهود والمواثيق، التي لو حافظ أصحابها على الوفاء بها، ما كانت تلك المشاهد المروعة التي تدمِّر كل شيء، وتعود بالشر والخراب على الجميع، بل ويعود أثرها المدمر على الطرف الذي ينقض ويظن أنه يجلب نفعًا من نقضه، فلو تعقل برهة ما أبرم عقده، لأنَّه أول من يناله الخراب والشر، فليت الجميع يتمسك بتعاليم ديننا الحنيف الذي لم يترك أمرًا فيه خير للبشرية جمعاء، إلا ونبَّه عليه، وحذَّر من عدم الالتزام به.

---

(١) المحرر الوجيز: (٤١٨/٣).

(٢) ينظر: التفسير البياني: (ص ٣١٧).

قوله -تعالى-: ﴿دَخَلًۢا بَيۡنَكُمۡ﴾:

(دخلًا) الدخل: الإفساد والخديعة، وأصل الدخل هو ما يدخل الشيء ممَّا ليس منه[١]، ووجه الإفساد أن دخول شيء غريب على الشيء مفسد له، ووجه الخديعة أن إدخال شيء غريب على الشيء يكون إيهامًا أنه منه؛ خداعًا وغشًا.

- قال ابن فارس: " الدَّالُ وَالْخَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، وَهُوَ الْوُلُوجُ. يُقَالُ دَخَلَ يَدْخُلُ دُخُولًا. وَالدِّخْلَةُ: بَاطِنُ أَمْرِ الرَّجُلِ. تَقُولُ: أَنَا عَالِمٌ بِدُخْلَتِهِ. وَالدَّخَلُ: الْعَيْبُ فِي الْحَسَبِ، وَكَأَنَّهُ قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ عَابَهُ. وَالدَّخَلُ كَالدَّغَلِ، وَهُوَ مِنَ الْبَابِ؛ لِأَنَّ الدَّغَلَ هَذَا قِيَاسُهُ أَيْضًا"[٢].
- وكذا فسَّرها الإمام العز بن عبد السلام بأكثر من معنى، وكلها معان تدلُّ على الإفساد، حيث قال: "[دَخَلًۢا] غروراً، أو دغلاً وخديعة، أو غلاً وغشاً، أو أن يكون داخل القلب من الغدر غير ما في الظاهر من الوفاء، أو الغدر والخيانة"[٣].
- "والمعنى: تجعلون أيمانكم الحقيقة بأن تكون معظمة وصالحة فيجعلونها فاسدة كاذبة، فيكون وصف الأيمان بالدخل حقيقة عقلية أو تجعلونها سبب فساد بينكم إذ تجعلونها وسيلة للغدر والمكر فيكون وصف الأيمان بالدخل مجازًا عقليًا.

ووجه الفساد أنَّها تقتضي اطمئنان المتحالفين فإذا نقضها أحد الجانبين فقد تسبَّب في الخصام والحقد. وهذا تحذير لهم وتخويف من سوء عاقبة نقض اليمين، وليس بمقتض أن نقضًا حدث فيهم"[٤].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٣٧/٥).

(٢) المقاييس: (د خ ل) (٣٣٥/٢).

(٣) تفسير القرآن: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، (٢٠٢/٢)، تح: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، ط: ١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

(٤) التحرير والتنوير: (٢٦٥/١٤).

- وتظهر المناسبة بين أصوات الكلمة (دخلا)، وبين المعنى المقصود، من حيث قوَّة الأصوات في الدلالة على المعنى؛ حيث:

١) جاء صوت الدال بشدَّته وجهره، محاكيًا دخول شيء على شيء وما يتطلبه ذلك من شدَّة ومن تغيير حالة المدخول عليه.

٢) جاء صوت الخاء بإطباقه واستعلائه، وبعد مخرجه؛ ليحاكي قوَّة الداخل وغلبته على المدخول عليه وتغلغله.

٣) وأخيرًا صوت اللام بجهره، وتوسطه؛ واستفاله، مع استفال وانفتاح صوتي الدال والخاء ممَّا يحاكي المعنى السابق مع بيان سهولة قيام ذلك الطرف المخادع بالغش وإلباسه على الطرف الأخر المطمئن، وإفساده لما أبرم من عقد بينهم.

قال -تعالى-: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾:

تدلُّ كلمة (أمَّة) في اللغة على معنى الجماعة، قال الجوهري: "﴿أمم﴾ أُمُّ الشي: أصلُهُ. ومَكَّة: أُمُّ القُرى.... والأمَّة: الجماعة"(١).

- وكذا فسَّرها من المفسرين أبو السعود، حيث قال: "﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ أي بأن تكون جماعة ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾ أي أزيد عدداً وأوفر مالاً ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ من جماعة أخرى"(٢).
- والمعنى: "أي لا تغدُروا بقوم لكثرتكم وقلتهم أو لكثرة مُنابذيهم وقوتهم كقريش فإنهم كانوا إذا رأوا شوكةً في أعادي حلفائِهم نقضوا عهدَهم وحالفوا أعداءهم"(٣).
- "جاء ضمير الفصل (هي) في قوله تعالى ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ﴾ من باب التأكيد على قوَّة الأمَّة وتميزها، كأنَّ هذه الأمَّة لقوَّتها مختصة بالقوَّة.

---

(١) الصحاح: (أ م م) (١٨٦٣/٥، ١٨٦٤).
(٢) إرشاد العقل السليم: (١٣٧/٥).
(٣) السابق نفسه.

وضمير الفصل هو الضمير الذي يقع ما بين المبتدأ والخبر، أو ما كان أصله مبتدأ أو خبرًا ممَّا دخل عليه أحد النواسخ، والأصل في إعرابه أنَّه لا محل له من الإعراب، ولكن قد تكون الجملة المكونة من ضمير الفصل والخبر خبرًا للمبتدأ الأول، كما في هذه الآية ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ﴾(١).

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ﴾ حيث جاء التعبير بذكر ضمير الفصل الذي يفيد الاختصاص؛ لتعظيم النهي عن نقض العهود، أي: لا تنقضوا عهد قوم لأجل قوم آخرين وإن كانوا من القوَّة بمكان عظيم.

وحصل النهي بذكر الداعي الأعظم للنقض؛ ليعمَّ النهي عن الأعظم النهي عن العظيم وما دونه، فإذا قبح نقض العهد لأجل الأقوى، فَقُبْحُ نقضه لأجل القوي والضعيف أعظم"(٢).

وقوله: ﴿أَرْبَىٰ﴾:

تدور مادة (ر ب و) في اللغة حول معنى الزيادة والعلو، قال ابن فارس: "الرَّاءُ وَالْبَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ وَكَذَلِكَ الْمَهْمُوزُ مِنْهُ يَدُلُّ عَلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الزِّيَادَةُ وَالنَّمَاءُ وَالْعُلُوُّ. تَقُولُ مِنْ ذَلِكَ: رَبَا الشَّيْءُ يَرْبُو، إِذَا زَادَ. وَرَبَا الرَّابِيَةَ يَرْبُوهَا، إِذَا عَلَاهَا. وَرَبَا: أَصَابَهُ الرَّبْوُ؛ وَالرَّبْوُ: عُلُوُّ النَّفَسِ"(٣).

- فالأربى وصف يفيد الأفضلية، وفي أصواتها ما يمكن أن يلمح منه معنى التفاضل، والتفوق، إذ إنَّ صوتي الهمزة والباء تشابهتا في الجهر، والشدَّة، والاستفال، والانفتاح، وصوت الراء مجهور، متوسط، مستعل، منفتح، وختمت الكلمة بألف المد، فكلُّها صفات توحي بمعنى العلو والتميز، والأفضلية، بما فيها من جهر وشدَّة، وما فيها من انفتاح واستفال.

---

(١) لمعرفة المزيد عن ضمير الفصل، يراجع: معاني النحو: (٤٧/١) وما بعدها.

(٢) التفسير البياني: (ص ٣١٩، ٣٢٠).

(٣) مقاييس اللغة: (ر ب و) (١٨٦٣/٥، ١٨٦٤).

- وقال الإمام البقاعي في تفسيرها: "أي بسب أن {تكون أمَّة} أي وهي الخادعة أو المخدوعة لأجل سلامتها {هي} أي خاصَّة {أربى} أي أزيد وأعلى {من أمَّة} في القوَّة أو العدد، فإذا وجدت نفاداً لزيادتها غدرت"(١).
- وقال الإمام الألوسي أنَّ معناها: "لا تغدروا بقوم بسبب كثرتهم وقلتهم بل حافظوا على أيمانكم معهم"(٢).
- وأضاف ابن عاشور معنى آخر للكلمة على سبيل المجاز، فقال: "وأربى: أزيد، وهو اسم تفضيل من الربو بوزن العلو، أي الزيادة، يحتمل الحقيقة أعني كثرة العدد، والمجاز أعني رفاهية الحال وحسن العيش. وكلمة أربى تعطي هذه المعاني كلها فلا تعدلها كلمة أخرى تصلح لجميع هذه المعاني، فوقعها

هنا من مقتضى الإعجاز. والمعنى: لا يبعثكم على نقض الأيمان كون أمَّة أحسن من أمَّة"(٣).

قال – تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾:

تدلُّ مادة (ب ل ي) في اللغة على معنى الاختبار، قال ابن فارس: "(بَلَوِيٌّ) الْبَاءُ وَاللَّامُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ، أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِخْلَاقُ الشَّيْءِ، وَالثَّانِي نَوْعٌ مِنَ الِاخْتِبَارِ، وَيُحْمَلُ عَلَيْهِ الْإِخْبَارُ أَيْضًا.

فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالَ الْخَلِيلُ: بَلِيَ يَبْلَى فَهُوَ بَالٍ. وَالْبِلَى مَصْدَرُهُ(٤). وَإِذَا فُتِحَ فَهُوَ الْبَلَاءُ، ... وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ فَقَوْلُهُمْ بُلِيَ الْإِنْسَانُ وَابْتُلِيَ، وَهَذَا مِنَ الِامْتِحَانِ، وَهُوَ الِاخْتِبَارُ.

---

(١) نظم الدرر: (٢٤٣/١١).
(٢) روح المعاني: (٤٥٦/٧).
(٣) التحرير والتنوير: (٢٦٦/١٤).
(٤) العين: (ب ل و) (٣٣٩/٨).

وَيَكُونُ الْبَلَاءُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَاللَّهُ تَعَالَى يُبْلِي الْعَبْدَ بَلَاءً حَسَنًا وَبَلَاءً سَيِّئًا، وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا؛ لِأَنَّ بِذَلِكَ يُخْتَبَرُ فِي صَبْرِهِ وَشُكْرِهِ"(١).

- وحدَّد د. جبل المعنى المحوري لمادة (ب ل و)، فقال: شدَّة تحُوز الشيء- أو حوز الشيء بشدَّة- لمدى طويل"(٢).

▪ وكذا فسَّرها من المفسرين الإمام الواحدي، حيث قال: "معنى [يَبْلُوكُمُ]: يعاملكم معاملة المختبر"(٣).

- والمعنى: "أي بما يأمركم وينهاكم، وقد تَقَدَّم ذكر الأمر والنهي، والكناية راجعة إلى الأمر، أي يختبركم الله بالأمر بالوفاء، وقال بعضهم: الكناية راجعة إلى التكليف، وأمره ونهيه بمعنى التكليف"(٤).

▪ وبتأمل التركيب الصوتي لكلمة ﴿يَبْلُوكُمُ﴾ يَتَّضِحُ الآتي:

١) جاء المقطع الأول للكلمة (يَبْ= ص ح ص) متوسطًا مغلقًا؛ ليحاكي بغلقه تلك الشدَّة التي يتعرض لها المختبِر، من استعداد، وتهيؤ نفسي لما يتلقاه من أوامر الله ونواهيه، وما يتعرض له من محن وابتلاءات، ومدى استسلامه لتلك الأوامر والنواهي بالطاعة؛ وما يتطلبه ذلك من تحمل وصبر على مجاهدة النفس باستمرار لكبح جماحها؛ حتى لا تلين وترضخ للأهواء.

٢) جاءت الباء بسكونها، وانطباق الشفتين عند النطق بها انطباقًا تامًا؛ لتحاكي شدَّة ذلك الامتحان والابتلاء، وقوَّة صبرهم عليه.

٣) ويؤكِّد ما سبق ختم الكلمة بمقطعين متوسطين مغلقين، وهما (لُو= ص ح ص) و(كُمْ= ص ح ص)، ممَّا يحاكي شدَّة وصعوبة الابتلاء والاختبار على النفس.

---

(١) مقاييس اللغة: (ب ل و) (ب ل ي) (٢٩٢/١، ٢٩٣).

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: (ب ل و) (ب ل ى) (١٦٥/١).

(٣) التفسير البسيط: (١٨٤/١٣).

(٤) السابق نفسه.

- وجملة ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ مستأنفة استئنافًا بيانيًا للتعليل بما يقتضي الحكمة، وهو أنَّ ذلك يبتلي الله به صدق الإيمان(١).
- وأفادت الباء في قوله تعالى: [بِهِۦ] في هذا السياق الإلصاق، فيكون المعنى أن الله تعالى قد جعل قضية الوفاء بالعهد من عدمه ملتصقًا بالابتلاء، كما أفادت الباء هنا معنى الاستعمال والآلية؛ حيث أفادت أن الله عزَّ وجل قد جعل العهد آلة ووسيلة لابتلاء المؤمنين واختبارهم(٢).
- واستخدم الخطاب القرآني أسلوب القصر(٣) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ وهذا القصر إنما يكون لتأكيد المعنى، أي: ما الأمر بالوفاء بالعهود إلا لاختباركم. أي: فاحذروا أن تنقضوا العهود، وفي هذا القصر حضٌّ وحثٌّ على الوفاء بالعهد، ولو قلنا في غير التنزيل "يبلوكم الله به" دون "إنَّما"(٤) لكان إخبارًا بابتلاء الله للمؤمنين، ولكن ليس بقوَّة أسلوب القصر في الحضِّ على الوفاء والتحذير من النقض.

---

(١) التحرير والتنوير: (٢٦٦/١٤).

(٢) حرف الباء في سورة النحل دراسة نحوية ودلالية: د. إبراهيم أحمد محمد صفي، و د. فهد بن درهم محمد الغانمي، (ص ٢٣٥)، مجلة جامعة الجزيرة- المجلد السادس-العدد الحادي عشر- يناير ٢٠٢٣م.

(٣) يُعدُّ القصر صورة من صور التوكيد تعتمد في أداء وظيفتها على الأداة، وهي هنا (إنَّما)، والتوكيد يفيد تقوية المؤكد وتمكينه في ذهن السامع وقلبه، وهو توكيد قاصر أو حاصر، ويمكن أن يطلق عليه توكيد مشدد. وللقصر طرق أخرى منها: النفي والاستثناء، والعطف بـــ (بل، ولا، ولكن)، وضمير الفصل، والتقديم والتأخير. ينظر تفصيل ذلك في: معاني النحو: (١٣١/٤)، وفي النحو العربي نقد وتوجيه: (ص ٢٣٨، ٢٣٩).

(٤) إنَّما: "تأتي إثباتًا لما يذكر بعدها، ونفيًا لما سواه"، ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٤٣/١)، كما أنَّها "تجيء لخبر لا يجهله المخاطب". ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني: (ص ٣٣٠).

- واستخدام الخطاب القرآني لـــ (إنَّما) دون غيرها من أدوات القصر؛ لأنَّها "أداة رقيقة هامسة، لا تنزعج النفوس لما دخلت عليه، ولا ترفض ما جاء في وعائها"(١)، وهذا من شأنه طمأنة النفوس، وجذبها إلى ما يلقى عليها، ولا يخفى ما لذلك من أثر في سرعة استجابتهم لأوامره سبحانه.
- وجاء الخطاب – هنا- بذكر اسم الجلاله – سبحانه وتعالى- وإسناده إلى الفعل (يبلوكم)، ولم يقل "نبلوكم" أو "تبلون"؛ لأنَّ في إسناد الابتلاء إلى الله – سبحانه وتعالى – بذكر اسم الجلالة (الله) زيادة في التحذير من نقض العهود؛ لأنَّ الله هو من يبتليكم بهذه الأوامر، فاذكروا إن كنتم نسيتم، واعلموا إن كنتم لا تعلمون.
- وهنا قد يتساءل: لماذا لم يقدّم الجار والمجرور في هذا القصر ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ حملًا على مواضع أخرى ورد فيها التقديم؟.

الجواب: لم يقدّم الجار والمجرور (به) في هذا القصر؛ لأنَّ المعنى هو: ما الأمر بالوفاء بالعهود إلا لاختباركم. وأمَّا قولنا في غير التنزيل "إنَّما يبلوكم به الله" فإنَ معناه: إنَّما يبلوكم به الله لا غيره، أي: ما يبلوكم به إلا الله. وهذا يصلح في غير هذا السياق. فلو قال الكفار من الذي يبلونا به؟ لكان الجواب: "إنَّما يبلوكم به الله". أي: لا غيره(٢).

ختام الآية الكريمة:

- وذيلت الآية الكريمة بهذا الخطاب القوي: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ الذي يقسم فيه المولى- عزَّ وجلَّ- مؤكدًا ومحذرًا لخلقه بكشف

(١) دلالات التراكيب دراسة بلاغية: د. محمد محمد أبو موسى، (ص ١٤٨)، مكتبة وهبة، ط: ٢، ١٤٠٨هـــ – ١٩٨٧م.

(٢) التفسير البياني: (ص ٣٢١).

وإيضاح الحقائق كلها- بما في ذلك الوفاء بالعهود-، الذي يختلفون فيها؛ ليكون الجزاء على قدر الطاعة والعمل.

- الفعل (يبين) مأخوذ من مادة (ب ي ن)، والتي تدلُّ في اللغة على الوضوح والانكشاف، يقول ابن فارس: "الْبَاءُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ بُعْدُ الشَّيْءِ وَانْكِشَافُهُ.... وَبَانَ الشَّيْءُ وَأَبَانَ إِذَا اتَّضَحَ وَانْكَشَفَ. وَفُلَانٌ أَبْيَنُ مِنْ فُلَانٍ ؛ أَيْ أَوْضَحُ كَلَامًا مِنْهُ"(١).
- وحدَّد د.جبل المعنى المحوي لمادة (ب ي ن)، بأنه: "امتداد بين طرفين أو جانين مع فصل كبير أو اتساع" (٢).
- وأشار إلى هذا المعنى من المفسرين البقاعي، حيث قال: "[وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمُ] أي إذا تجلى لفصل القضاء"(٣).
- وهذا المعنى تؤكِّده الدلالة الصوتية لكلمة (بَيَّن)، حيث تتكون من:

١) صوت الباء بشدَّته وجهره، ومجيئه على مقطع متوسط مغلق (بَيْـــــ= ص ح ص)، ممَّا يحاكي ضرورة التأكيد على كشف وظهور كل ما يقع فيه الخلائق من اختلاف، وإنَّ هذا الأمر لا يكشفه إلا الله يوم القيامة، للفصل فيما بينهم.

٢) تليه (الياء) التي "تعبر عن اتصال الممتد شيئًا واحدًا، وعدم تفرق أو تسيبه. ومعنى الياء هذا يلتقي مع الشعور بتكونها بامتداد الزمير، مارًا دون أن ينقطع – من المضيق الذي يسببه ارتفاع مقدم اللسان، مقتربًا ممَّا يوازيه من الحنك"(٤). وهذا الامتداد يتلاءم مع شمول عملية التبيين والكشف التي يقوم بها رب العالمين لكل ما هو مختلف فيه بين الخلائق، فعنده وحده تنكشف الأمور، فالبيان يكثر بكثرة المختلف فيه.

---

(١) مقاييس اللغة: (ب ي ن) (٣٢٧/١، ٣٢٨).
(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: (ب ي ن) (١٨١/١، ١٨٢).
(٣) نظم الدرر: (٢٤٤/١١).
(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: (٣٩/١).

٣) ويؤكِّد ما سبق توالي مقطعين قصرين مفتوحين (يَـــ=ص ح + نَ= ص ح)، ممَّا يتناسب ومقام الانكشاف والوضوح، والشمول لكل ما هو مختلف فيه بين الناس.

- والفعل (يبين) مضارع (بَيَّنَ) على وزن (فعَّل) ليدلَّ على كثرة[١] ما يختلفون فيه، والذي سيبيِّنه الله لكم يوم القيامة، كما يدل على تعديه لهؤلاء المخاطبين، حيث قال تعالى: ﴿لَكُمْ ﴾أي: انتبهوا فالتبيين ليس لغيركم إنما هو لكم، فاحرصوا على الوفاء بالعهد حتى تسعدوا بعملكم.
- واستخدم الخطاب القرآني أسلوب القسم في قوله تعالى:﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾، وهو جواب لقسم مقدَّر، واللام لام القسم، والنون نون التأكيد، واللام والنون دلَّا على القسم المحذوف، والفاعل ضمير مستتر تقديره "هو" يعود على لفظ الجلالة "الله"[٢]؛ للتأكيد على معنى الوضوح والإنكشاف، ولا يخفى ما يحمله ذلك الأسلوب من التهديد والتحذير، فكل ما يفعله الإنسان ظاهرًا أو باطنًا سوف ينجلي، ليأخذ كل منا حذره من مخالفة أوامر الله ونواهيه؛ لأن في إطاعة الله في أوامره ونواهيه السلامة والنجاة في الدنيا والأخرة، ففي الدنيا سوف يعود على المجتمع بالخير، فيحيا الجميع في سعادة وسلام، وفي الآخرة نفوز برضوان الله وجناته.

وقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾:

و(يوم) ظرف زمان منصوب، و(ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به، والاسم الموصول يدل على العموم، أي: سيبيّن الله لكم كل ما كنتم فيه تختلفون.

---

(١) شذا العرف: (ص ٣١).

(٢) ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي، (١٤/ ٣٧٨)، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط: ٤، ١٤١٨هـ.

- وتأكيدًا لمعنى العموم جاء التعبير بالمضارع (تختلفون)، الذي يفيد التجدد والاستمرار، فكل ما يتجدد فيه الخلاف في حياتكم الدنيا، سوف يعرضه ويكشفه – جلَّ في علاه– يوم القيامة؛ للفصل فيما بينكم.
- وجاء الفعل (اختلف) على صيغة (افتعل) التي تفيد معنى التشارك[١]، حيث إنَّ معنى الاختلافُ والمخالفة: "أن يأخذ كلّ واحد طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخِلَاف أعمّ من الضدّ، لأنّ كلّ ضدّين مختلفان، وليس كلّ مختلفين ضدّين، ولمّا كان الاختلاف بين النّاس في القول قد يقتضي التّنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ [مريم/ ٣٧]، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ [هود/ ١١٨]"[٢].
- وحدَّد د.جبل معنى الاختلاف، بأنَّه: "عدم الاجتماع على رأي أو موقف أو حكم ألخ، كأنَّ كلًّا يذهب إلى ما جعله الأخر خلفه"[٣].
- وإنَّ من أبرز العوامل الصوتية التي تؤكِّد هذا المعنى، هي:

١) مجيء المقطع الأول (تَخْـــ= ص ح ص) متوسطًا مغلقًا؛ ليحاكي غلق عقولهم عن التفكر فيما هم مختلفون فيه، وشدَّة التاء تتناسب مع هذا المقام، وما فيه من تنافس وتناحر وتوتر في العلاقات؛ بسبب عدم التوافق حول الأمور التي يختلفون فيها.

٢) صوت الخاء ببعد مخرجه، وهو والفاء أصوات رخوة (احتكاكية)، "وهذا يجعلها أقل في نسبة الوضوح السمعي"[٤]، ومن صفات الأصوات الاحتكاكية

---

(١) شذا العرف: (ص ٣٣).
(٢) المفردات في غريب القرآن: (خ ل ف) (ص ٢٩٤).
(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: (١/٦٠٠).
(٤) عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: (ص ١١٥) .

أنها "أصوات متمادة، بمعنى أنه يمكن الاستمرار في نطقها ما أسعف النفس"[١]، فلا يغلق معها الممر أثناء النطق بها، وإنما يضيق، ويمر الهواء من هذا الممر الضيق، وتوصف بأنها مستمرة[٢]، وهذا الاستمرار يتناسب مع استمرار اختلافاتهم، وتعنتهم في الوصول إلى حل لكل ما هو مختلف فيه، ويؤكِّد معنى الاستمرار التعبير بالفعل المضارع، وأيضًا غلبة المقاطع المفتوحة بالفعل (تَـــ= ص ح)، (لِـــ= ص ح)، (فُو=ص ح ح)، (نَ= ص ح) وصلًا.

٣) امتداد صوت اللام واتساعه، ممَّا يؤكِّد سعة وشمول ذلك الاختلاف لكلِّ ما يتعرضون له من أمور دينهم ودنياهم.

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: (ص ١٣٩).

(٢) عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: (ص ٨١).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فبعد أن انتهيت من هذه الدراسة الماتعة الهادفة للخطاب القرآني الأخلاقي في سورة النحل من الآية التسعين إلى الآية الاثنتين والتسعين، يمكن أن أخرج بهذه النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة، وهي على النحو الآتي:

١) أكَّدت الدراسة أنَّ القرآن الكريم مصدر أصيل لكل المفاهيم التربوية الدينية والأخلاقية والاجتماعية، والتي تصلح لكل الأفراد في كل زمان ومكان، والتي تحقِّق مقاصد الشريعة من بناء مجتمع مسلم حضاري قوي بأفراده يقود العالم إلى التطور والرقي.

٢) تُعدُّ المأمورات والمنهيات التي تناولتَها الآية الكريمة –محل الدراسة– قيمًا إنسانية، لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، فالمأمورات والمنهيات وحدها كفيلة لبناء مجتمع فاضل.

٣) إنَّ الأخلاق تشكل أهمية كبيرة في بناء المجتمع الإسلامي ولها دور فعال في تقدُّم الأمم أو تخلفها؛ فالأخلاق هي السمة الأصيلة في كلِّ جوانب الدين.

٤) وظَّف الخطاب القرآني اللغة من جميع جوانبها الصوتية والبنيوية والتركيبية والمعجمية؛ لتوجيه المجتمع إلى تلك القيم الأخلاقية والاجتماعية الفاضلة؛ لتكون منهج حياة يسيرون عليه في حياتهم ومعاملتهم؛ فيسعدون في دنياهم وأخراهم.

٥) تنوعت صفات أصوات الألفاظ القرآنية الأخلاقية ما بين صفات القوَّة وصفات الضعف، بما يتواءم مع تلك القيم الأخلاقية ودلالاتها.

٦) زخر الخطاب القرآني الأخلاقي، بمعان أخلاقية واجتماعية، لا يستغي عنها مجتمع من المجتمعات، ولا يمكن تفسيرها إلا من خلال دراسة البنية اللغوية لهذا الخطاب.

٧) العدل بكافة صوره في جميع المجالات متطلب لجميع المعاملات في المجتمع الإنساني.

٨) الإحسان والعطاء بين ذوي الرحم والوفاء بالوعد والعهد من القيم الخلقية الهامة التي تحقِّق مصلحة الفرد والمجتمع، والتي لها أثر كبير في التعامل بين الناس.

٩) تنوع المؤكّدات المستخدمة في الخطاب الأخلاقي، والتي تحمل كل صورة منها خصوصية دلالية، والتي وظَّفها الخطاب القرآني لترسيخ تلك القيم الخلقية الهامة في نفوس المتلقين؛ لأنَّه لا يستقم المجتمع إلا بها، ولا يسعد أفراده إلَّا بالإتيان بها.

١٠) تنوّع الأساليب المستخدمة في الخطاب الأخلاقي ما بين أسلوب التوكيد والشرط، والتقديم والتأخير وأسلوب القصر، والأمر والنهى، والتي وظَّفها الخطاب القرآني لترسيخ تلك القيم الخلقية الهامة، والتي بها صلاح المجتمع وقوامه، وأيضًا يحمل هذا التنوع المخاطب على تقبلها، والعمل بها؛ ليسعد في دنياه وآخرته.

١١) توظيف الخطاب القرآني الأخلاقي للفعل المضارع في أغلب مفردات الآيات؛ لما يفيده من معنى التجدّد والاستمرار؛ ولكونه أنسب لحاجة الأفراد والمجتمعات لهذه المأمورات والمنهيات في كل زمان ومكان.

١٢) جاء الخطاب القرآني الأخلاقي بأبلغ وأقوى الألفاظ والعبارات والأصوات والأبنية والتراكيب والأساليب، والتي تدفع المتلقي للأخذ بتلك القيم، والتحلي بها؛ لأنَّها هي الأصلح لدينه ودنياه وآخرته.

١٣) ربط الخطاب القرآني الأخلاقي بين تلك القيم التي تناولتها الآيات الثلاث – موضع الدراسة– وبين الواقع المجتمعي أنذاك، غير أنَّ دلالات ألفاظ تلك القيم من طبيعتها العموم والشمول والإطلاق؛ لكي تطبقها البشرية في المواقف الحياتية المختلفة؛ وذلك طبقًا للقاعدة الأصولية التي تقول إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالسبب نأخذه بعين الاعتبار لمزيد من الفهم، لكن العبرة الأساسية والفهم الأساس هو القائم على عموم اللفظ ومعرفة ما يمكن أن يندرج تحت دلالات الألفاظ نفسها، لتكون الحلول والمعالجات القرآنية مطلقة، صالحة لكل مجتمع في كل زمان ومكان، لا تخصصها مناسبة ورود وسبب نزول(١).

١٤) استعمل الخطاب القرآني ألفاظًا وأساليب تمتزج فيها ملامح القوَّة والحزم والتأكيد والتحذير، مراعيًا بذلك حال المخاطبين – سواء من هم حديثو عهد بالإسلام أو من هم من عموم الناس–؛ ليقبلوا على ما سمعوه بالطاعة والعمل.

١٥) تبيَّن بالدراسة أنَّ الفاصلة القرآنية وظِّفت لخدمة المعنى والسياق، فهي توضِّح مدى الترابط والتماسك النصي للخطاب، ووحدته الموضوعية بما يُحقِّقُ تواصل المتلقي مع ما يسمعه.

١٦) أكَّدت الدراسة وجود مناسبة صوتية بين الألفاظ ومدلول الأَحداث المُعبَّر عنها؛ حيث عبَّرت الأصوات عن المعنى في أوضح صورة، وهذا بدوره يُعَدُّ من قبيل الإعجاز اللغوي.

١٧) جاء التعبير القرآني لمعظم المفردات الأخلاقية – موضع الدراسة– معرفة بأداة التعريف (ال) الجنسية، والتي تفيد استغراق الجنس؛ ليعمَّ معظم أفراد

(١) ينظر: بحث بعنوان: لغة القيم الأخلاقية في سورة النور، دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي: (ص ٤٧٩٩).

جنسه، فكل قيمة من القيم الأخلاقية التي أوردتها الآية الكريمة تضمُّ كلَّ المعاني التي يمكن أن تندرج تحت دلالاتها.

١٨) أبرزت الدراسة دور التقديم في إظهار العناية بالمقدَّم، ولفت انتباه المتلقي إليه، وذلك بإحضاره إلى الذهن أوَّلًا وتأكيده؛ ليكون أصلًا وما يتلوه ملحقًا.

ومن أهم التوصيات:

١) ربط الدراسات اللغوية عامَّة والقرآنية خاصَّة، بالجانب الاجتماعي؛ لأنَّه يثري العمل العلمي، ويبني الباحث، ويعود بالنفع على المجتمع.

٢) تكثيف الجهود للعمل على خلق منظومة قيمية إسلامية، تنطلق من النصوص الشرعية، تلبي حاجات الإنسانية في عصر العولمة.

٣) ضرورة التوعية بكل الوسائل والإمكانات إلى تطبيق الأخلاق والقيم الإسلامية.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم – جلَّ من أنزله:

١) الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن الميداني، بيروت، دار القلم، (د. ط) (د. ت).

٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى،دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د. ط) (د. ت).

٤) أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط: ٢، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٥) استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: ١، ٢٠٠٤م.

٦) أصوات اللغة العربية: د. عبد الغفار هلال، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ط: ١٩٩٦م.

٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، (د. ط).

٨) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: د. نايف خرما، عالم المعرفة، ١٩٧٨م، (د. ط).

٩) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م، (د. ط).

١٠) الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل- بيروت، ط: ٣، (د. ت).

١١) البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط ١: ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

١٢) بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (د. ط) (د. ت).

١٣) البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د. ت).

١٥) البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط: ١، ١٤١٦ه- ١٩٩٦م.

١٦) تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط:٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٧) التحديد في صنعة الإتقان والتجويد: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، ط: ١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٨) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤م.
١٩) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: د.محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، ط:٢، ٢٠١١م.
٢٠) التربية الأخلاقية الإسلامية: يالجين مقداد، دار علم الكتاب، الرياض، ط: ١، ١٩٩٢م.
٢١) التفسير البسيط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تح: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثمَّ قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: ١، ١٤٣٠هـ.
٢٢) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي، الأردن، عمان، ط: ٢٠٠٣م.
٢٣) تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، (د. ط) (د. ت).
٢٤) تفسير القرآن: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، تح: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم–بيروت، ط: ١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٢٥) تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط: ١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
٢٦) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدمشقي، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط: ١، ١٤١٩هـ.

٢٧) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تح/ د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٢٨) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط:٢، ١٤١٨هـ.

٢٩) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: مصطفى مسلم وآخرون، جامعة االشارقة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م.

٣٠) التفسير الواضح: الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد– بيروت، ط: ١٠، ١٤١٣هـ.

٣١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: ١، ١٩٩٨م.

٣٢) التفكير اللغوي بين القديم والحديث: د. كمال بشر، دار غريب، ٢٠٠٥م، (د. ط).

٣٣) التيسير في أحاديث التفسير: الشيخ/محمد المكي الناصري، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٣٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

٣٥) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١: ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٣٦) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط ٢: ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٣٧) دراسات في علم الأصوات اللغوية: د. صلاح الدين محمد قناوي، ود.أحمد طه سلطان، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٣٨) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم – دمشق، (د. ط) (د. ت).

٣٩) دلائل الإعجاز في علم المعاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط:٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٤٠) دلالات التراكيب دراسة بلاغية: د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط: ٢، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

٤١) ديوان الأعشى الكبير: ميمون بن قيس، تح: محمد حسين، (د. ط) (د. ت).

٤٢) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: للإمام العلامة/ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تح: د.أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، عمان، ط:٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٤٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١: ١٤١٥هـ.

٤٤) الزمن واللغة: د. مالك يوسف المطلبي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط: (١٩٨٦م)، (د. ط).

٤٥) سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الأولي ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٤٦) شذا العرف في فن الصرف: أحمد بن محمد الحملاوي، تح: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض، (د. ط) (د. ت).

٤٧) شرح تسهيل الفوائد: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، تح: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد المختون، هجر للطباعة والنشر، ط: ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٤٨) شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، تح: د.عبد العلي عبد الحميد، إشراف: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع السلفية ببومباي بالهند، ط: ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٤٩) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

٥٠) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د. ط) (د. ت).

٥١) الصوت اللغوي في القرآن: د.محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي –بيروت، ط: ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٥٢) علم الصوتيات: د. عبد العزيز علام، و د. عبدالله ربيع، مكتبة الرشد، الرياض، (د. ط)، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٥٣) علم اللغة الاجتماعي: د. هدسون، ترجمة: د. محمد عياد، مراجعة: د. نصر حامد، د.مجمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب، ط:٢، ١٩٩٠م.

٥٤) علم اللغة الاجتماعي عند العرب: د.هادي نهر، ط: ١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥٥) علم اللغة الاجتماعي، مفهومه وقضاياه: د. صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندارية، ١٩٩٥م، (د. ط).

٥٦) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران، دار الفكر العربي، ط:٢، ١٩٩٧م.

٥٧) عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: د. عبد العزيز أحمد علام، ط: ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٥٨) فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط: ١، ١٤١٤هـ.

٥٩) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط: ١٧ ١٤١٢هـ.

٦٠) في النحو العربي نقد وتوجيه: د.مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط:٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٦١) الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦٢) كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦٣) كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،(د. ط) (د. ت).

٦٤) الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): أبو البقاء الكفوي، تح: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط:٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٦٥) لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.

٦٦) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر – بيروت، ط ٣: ١٤١٤هـ.

٦٧) اللغة والمجتمع: د.علي عبدالواحد وافي، دار إحياء الكتب العربية، ط: ٢، ١٣٧٠هـ -١٩٥١م.

٦٨) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، تح: أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٦٩) محاضرات في علم اللغة الحديث: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط: ١، ١٩٩٥م.

٧٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

٧١) المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٧٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٧٣) معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط: ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٧٤) معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط :١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها: أ.د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، ط: ١، ٢٠١٠م.

٧٦) معجم حروف المعاني في القرآن الكريم مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات: محمد حسن الشريف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٧٧) معجم المصطلحات العربية: رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م، (د. ط).

٧٨) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، (د. ط) (د. ت).

٧٩) مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠هـ.

٨٠) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ.

٨١) مقالات في اللغة والأدب: د. تمام حسان، عالم الكتب، ط: ١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٨٢) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (د. ط).

٨٣) موسوعة الأخلاق، الخزار خالد، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، ط: ١، ٢٠٠٩م.

٨٤) النحو العربي: د. إبراهيم إبراهيم بركات، دار النشر للجامعات، مصر، ط: ١، (د. ت).

٨٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ط) (د. ت).

٨٦) النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان، (د. ط) (د. ت).

الرسائل العلمية:

١) فاعلية المستويات اللغوية في قراءة الخطاب القرآني (سورة النمل أنموذجًا): للباحثين/ طاهري بلقاسم و معراجي أم جيلالي، رسالة ماجستير، إشراف/ أ.د بلقاسم عيسى، ود. حاجي زوليخة، جامعة ابن خلدون – تيارت، الجزائر، للعام الجامعي ١٤٤٣هـ–١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م–٢٠٢٣م.

٢) لغة القرآن من أول سورة النور إلى نهاية سورة القصص دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي: للباحثة/ أسماء عبد الحميد سيد أحمد، رسالة دكتوراه، إشراف/ أ.د. نعيم مصطفى يحيى شرف، وأ.د. عصام فاروق إمام، جامعة الأزهر، ١٤٤٤هـ– ٢٠٢٢م.

الأبحاث العلمية:

١) "الأسس الأرسخ والبناء الشامخ الأبي للممالك الإنسانية وكمالها الحضاري (من خلال آية واحدة من النص القرآني) في سورة النحل: ٩٠، جمع وتأليف وتعليق/ محمد عبد العزيز عبد النظير علي، دكتوراه تخصص التفسير وعلوم القرآن، حولية كلية اللغة العربية، بنين جرجا، جامعة الأزهر، العدد التاسع عشر، (ج ٧)، ١٤٣٦هـ–٢٠١٥م.

٢) حرف الباء في سورة النحل دراسة نحوية ودلالية: د.إبراهيم أحمد محمد صفي، و د. فهد بن درهم محمد الغانمي، مجلة جامعة الجزيرة- المجلد السادس-العدد الحادي عشر- يناير ٢٠٢٣م.

٣) القيم الأخلاقية في التراث التفسيري: د. عبد القادر الشايط، مجلة المرقاة، السنة الرابعة، مجلد (٦)، العدد السادس، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	ملخص البحث
٢	المقدمة
٣	**التمهيد: مفاهيم أساسية لمصطلحات العنوان**
٤	المبحث الأول: الخطاب الأخلاقي في الآية (٩٠) من سورة النحل
٥	المطلب الأول: التحليل اللغوي لخطاب الحث على قيم العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى
٦	المطلب الثاني: التحليل اللغوي لخطاب النهي عن الفحشاء والمنكر والبغي
٧	**المبحث الثاني: الخطاب الأخلاقي** في الآيتين (٩١، ٩٢) من سورة النحل
٨	الخاتمة
٩	ثبت المصادر والمراجع
١٠	فهرس الموضوعات